المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة

المجلد (٥١)

عمّان

٢٠٠٧

حولية دائرة الآثار العامة

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب. ٨٨، عمان ١١١١٨ - المملكة الأردنية الهاشمية

رئيس التحرير
د. فواز الخريشه

هيئة التحرير
د. رافع حراحشه
قمر فاخوري
سحر النسور
هنادي الطاهر
سامية الخوري

قام بمراجعة النصوص الانجليزية
كيت واشنطن

الاشتراك السنوي:
١٥ دينار أردني (داخل المملكة الأردنية الهاشمية)
٥٠ دولار أمريكي (خارج المملكة شاملاً البريد)

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى ٣١ أيار من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسل على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة
ص.ب: ٨٨
عمان ١١١١٨- الأردن
فاكس: ٤٦١٥٨٤٨-٦-٩٦٢+

تصميم
ماجدة ابراهيم

طباعة: المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

تعني **حولية دائرة الآثار العامة** بالبحوث المختصة بالتراث الحضاري للأردن والمناطق المجاورة، بما في ذلك تقارير التنقيبات الأثرية ونتائجها.

ترسل البحوث في موعد أقصاه ٣١ أيار (مايو) من كل عام للنشر في مجلد العام نفسه إلى العنوان التالي: حولية دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨، عمان ١١١١٨ - الأردن (هاتف ٤٦٤٤٣٣٦).

ويمكن الاستفسار عن طريق الفاكس رقم ٤٦٥٨٤٨-٦- (٩٦٢) أو البريد الإلكتروني
Publication.doa@nic.net.jo

- **لغة البحث:** العربية أو الإنجليزية.

- **مسودات البحوث:** يجب ألا تتجاوز مسودة البحث ١٥,٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة تقريباً) ولا يشمل هذا قائمة المراجع، والمواد التوضيحية (الأشكال) . ويرجى تضمين اسم الباحث (أو الباحثين) وعنوانه في نهاية المسودة، ويكون ترتيبها كالآتي:

١- عنوان البحث واسم الباحث (الباحثين).
٢- النص الكامل للبحث.
٣- عنوان الباحث (الباحثين).
٤- قائمة المراجع.
٥- الهوامش إن وجدت.
٦- قائمة شروحات الأشكال.

- **تسليم النصوص:** يُسلم النص على قرص حاسوب، إضافة إلى نسخة مطبوعة تباعد الأسطر فيها مزدوجاً، والرجاء إضافة نسخة محفوظة على شكلRich Text Format على قرص الحاسوب. كما يجب أن تكون المسودة بشكلها النهائي دون إجراء تغييرات كبيرة لاحقاً.

- **الصور والرسومات والمخططات:** يجب أن ترفق مع النسخة الأصلية عند التقديم. ويجب الإشارة إلى جميع المواد التوضيحية سواء كانت صوراً أم رسومات أم مخططات باستخدام مصطلح (الشكل) في متن النص، وترقيمها حسب تسلسل ورودها في النص (الشكل ١، الشكل ٢، ... الخ). ويجب ألاّ يزيد حجم الشكل عن ١٧×٢٢سم. وبالإمكان تقديم الأشكال إلكترونياً jpg (ولا تقبل الأشكال المحمولة على Word)، بحيث تكون حجومها 250 pixels/in للصور الفوتوغرافية و 600 pixels/in للرسومات والمخططات.

- **الهوامش:** يفضل الابتعاد عن الهوامش قدر الإمكان. وتوضع مصادر البيبلوغرافيا بين قوسين ضمن المتن، مثلاً (الفلاحات ٢٠٠١: ٦٥-٦٧) أو (Brown 1989: 32-35) للمراجع الأجنبية.

- **قائمة المراجع:** يجب أن تكون ضمن جدول في نهاية البحث وحسب التسلسل الأبجدي. واتباع النموذج الآتي:

١- في حالة المقالات المنشورة في دوريات:

النوافلة، سامي

٢٠٠٠ تقرير عن حفرية الجي (جايا) في وادي موسى / ٩٩٩١. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٤: ٧١-٤٢.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North -Arabian inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. *ADAJ* 42: 255-258.

٢- في حالة المقالات المنشورة في مجلدات:

الدوري، عبدالعزيز

٢٠٠١ فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص ٤٣-٥٩ في **أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياري** ١٩٣٦-١٩٩٨. تحرير صالح الحمارنه. عمان: الجامعة الاردنية.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H.-D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan. Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K Gebel, Z. Kafafi and G.O. Rollefson (eds.), *The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997*. Berlin: ex oriente.

٣- في حالة الكتب:

عباس، إحسان

١٩٩٠ **تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي**، ٦٠٠-٦٦١. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P.S.

1988 *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London and New York: Longman.

- **المستلات:** يتسلم الباحثون ٥٢ مستلة (نسخة) عن كل بحث ينشر لهم، وبالإمكان طلب المزيد من النسخ بسعر التكلفة.

- **الملكية الفكرية:** من حق الباحثين.

الفهرس

أعمال الحفاظ والتنقيب الأثري الإنقاذي في موقع كنيسة خربة السوق
أديب ابو شميس ٧
قلعة القطرانة «العثمانية التركية»
عبد القادر الحصان ١٣
القصور الأموية في بلاد الشام / توزعها الجغرافي والهدف من بنائها
ابراهيم الزقرطي ٢١
صيانة أرضية كنيسة القديسين «كوزموس و دميانوس» الفسيفسائية / مدينة جرش الأثرية
بلال خريسات، كاترين حمارنة، عبد المجيد مجلي ٣١
المغطس
رستم مكجيان ٤٣
الحرة الأردنية: مسح وتوثيق نقوش جديدة
رافع حراحشه ٥١

أعمال الحفاظ والتنقيب الأثري الإنقاذي في موقع كنيسة خريبة السوق

أديب اسحق ابوشميس

تقع الكنيسة على جزء واضح من التل الاثري (الخريبة) وقد كان لكثرة تعاقب الاستيطان على المكان اثراً كبيراً في البقايا المعمارية المتواجدة، كما ان الاستخدام المستمر يشير إلى أهمية الموقع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية. ويذكر كبار السن في القرية انها كانت تسمى سوق الجواهر ويربطون ذلك بأهل الكهف في الفترة الرومانية، كما أنها كانت في القرن الماضي سوقاً للحلال (بيع الاغنام). وقد يكون هذا هو التقليد الموروث جيلا بعد جيل كونها تقع على الطريق الروماني (Via Nova Traiana) (**الشكل ١**).

يحوي الموقع عناصر معمارية مختلفة منها بقايا معبد من العصر الروماني (القرن الأول الميلادي / الثاني الميلادي)، ثم استخدم في فترة لاحقة ككنيسة في الفترتين البيزنطية والإسلامية وهجر الموقع حتى الفترة المملوكية حيث استخدم المبنى كإسطبل وفي الفترة العثمانية كمسكن.

وفي عامي ١٩٧٤-١٩٧٥ قام فريق من دائرة الآثار بالتعاون مع الجامعة الاردنية بالتنقيب داخل مبنى الكنيسة ولم يقدم تقريراً علمياً ولكنه اكتفى بالاشارة إلى كون المبنى كان في اصله معبداً رومانياً استخدم ككنيسة في القرن السادس الميلادي. وفي عام ١٩٨١ عمل مجسات تجريبية ربما لتحديد مكان وضع شيك حماية، حيث اصبح الموقع داخل حي سكني اقيمت بعض مبانيه على اجزاء من المعبد القديم، كما تعرض الموقع لاهمال شديد وتخريب وعبث (ابراهيم ١٩٧٥: ١٦، زيادين ١٩٨٢: ١٢).

وفي عام ٢٠٠٤ قدم مفتش الآثار أديب ابو شميس تنسيبه للحفاظ على هذا الاثر الهام والذي ما زال حتى هذا التاريخ مطلوبا للاستملاك. وقد تمت اجراءات الاستملاك كخطة اولى لإكمال المشروع.

من الاعمال التي نفذت بهذا الموقع

الرفع المساحي لبقايا الموقع الأثري /خريبة آثار (**الشكل ٢**)، وتنظيف الموقع من المخلفات والنفايات واعادة ترتيب الحجارة المتراكمة في الجهة الجنوبية من المبنى من اجل استخدامها لاعمال الصيانة والترميم في المستقبل[1].

تأهيل المدخل الرئيس للمبنى والذي يربط الموقع بالشارع العام تمهيدا لتعبيده، كما تم اعداد لوحة تشير إلى الموقع لتعريف الزائر والجمهور المحلي.

نتائج أعمال التنقيب والصيانة في المناطق المحددة مساحياً

١. المربع (A:C4): وهي منطقة الرواق الشمالي/الجناح وقد ظهر ان المكان قد تم التنقيب به في مواسم سابقة، وقد تركز العمل على صيانته، ومن الظواهر التي اعيد كشفها:

- الجدار الشمالي للكنيسة وتبدو عليه مظاهر اعادة الاستخدام حيث الاساس الروماني، كما اعيد نصب المداميك العلوية والتي تمثل بداية لعقد بني في العصر الاسلامي اقيم على الجزء الاصلي من المعبد الروماني والذي بني بداخله كنيسة بيزنطية.
- الجدار الجنوبي للرواق الشمالي وقد اعيد استخدام قطع من الأعمدة في مداميك الجدار الذي انشىء في العصور الاسلامية، وقد ظهرت احدى قواعد الأعمدة الاصلية في مكانها. كما لوحظ سقوط أعمدة الكنيسة وربما كان ذلك جراء الهزة التي تعرضت لها المنطقة في نهاية العصر الاموي ٧٤٧م.
- لم تقدم قراءة الفخار أي تراكم طبقي يمكن ان يفيد في التاريخ كون هذه البقايا (كسر الفخار) تحوي مختلف العصور التي ذكرتها انفا.

٢. المربع (A:B4): ونجاور المربع السابق من الشرق، حيث ظهر:

- استمرارية امتداد الجدار الشمالي للرواق الشمالي واعمال اعادة الاستخدام في بناء الحجارة الاثرية.
- الجدار الجنوبي للرواق الشمالي والذي يمتد بين الاعمدة الثاني والثالث من الشرق ويتكون من حجارة معاد استخدامها ايضا.
- الجدار الغربي وبه بوابة اعيد استخدامها واغلقت في فترة لاحقة من العصر البيزنطي.
- ارضية فسيفساء تالفة تحمل زخارف هندسية ودوائر تنتهي بشكل يشبه صليب.
- حفر مجس اختباري تحت مستوى ارضية الفسيفساء البيزنطية

١. فريق العمل مكون من محمد السرحان وهيا الصباح ومحمد صقر والرسام جمال صافي.

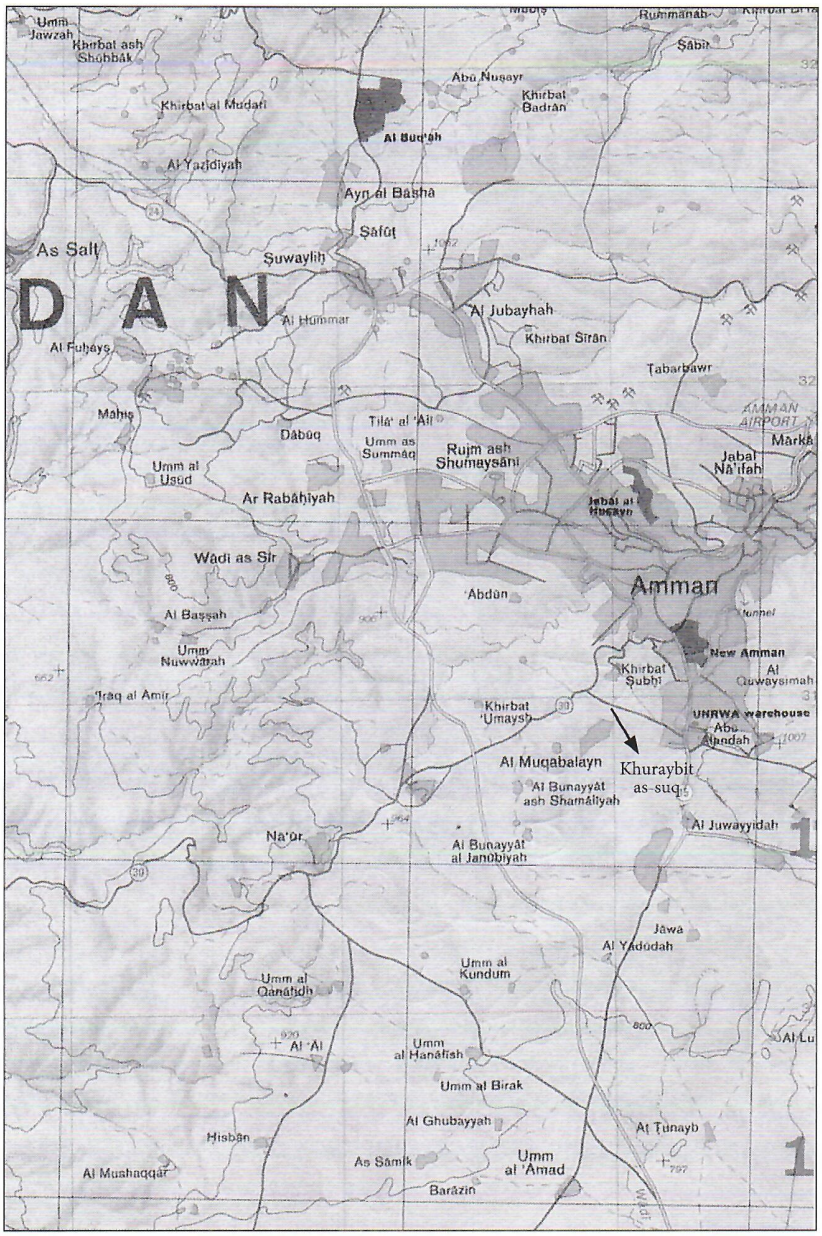

١. خارطة تبين منطقة ريف فيلادلفيا الجنوبي (الإسم الذي اطلق على عمان في العصر الروماني) ويلاحظ موقع خربة السوق.

(A:B4:L10) قياس ١ × ١,٥م فعثر على أرضية من بقايا الاسمنت والحصى، وقد وصل عمق هذا المجس إلى ٢,٤م واهم المظاهر المكتشفة تحت مستوى فرشة الفسيفساء قاعدة لاقامة دعامة ملتصقة بجدار الكنيسة التي بنيت داخل مبنى المعبد وقد ظهر عليها مادة الملاط الأبيض لتثبيتها وربطها مع الجدار الخارجي للمعبد من الداخل، وعلى عمق ٥٠سم من الارضية التي رصفت عليها ارضية الفسيفساء. والظاهرة الثانية عبارة عن كسر من فخار العصر الروماني/ الهلنستي المتاخر والذي يؤرخ من منتصف القرن الاول ق.م إلى منتصف القرن الأول الميلادي، ثم ظهر جدار يتكون من حجارة كبيرة غير مشذبة ومدعمة بحجارة صغيرة بشكل جيد، ويتكون من مدماكين ويشبه في تركيبته عمارة الفترة الهلنستية.

كما ظهر اسفل هذا الجدار بعض كسر الفخار المميزة والتي تعود للعصر الحديدي الاول وقد يقدم هذا دليلا اخر على وجود استقرار عموني قبل ان تكون خربة السوق جزءا من فيلادلفيا الرومانية. ويثير تساؤل فيما اذا كان هناك استقرار من العصر الحديدي يعززه من الغرب موقع تل العميري الذي يحوي مدينة من العصر الحديدي الاول والعصر البرونزي المتأخر (**الشكل ٣**).

ومن الظواهر في (A:D4:10) رقم الحفرية ٢٦٤ وجدت كسرة من الفخار عليها كتابة باللغة العربية، ومن دراسة الفخار تبين انها تعود للفترة العباسية وهي جزء من وعاء (زبدية) وهو فخار تميل عجينته للون الابيض النقي والرقيق نوعا ما (**الشكل ٤**).

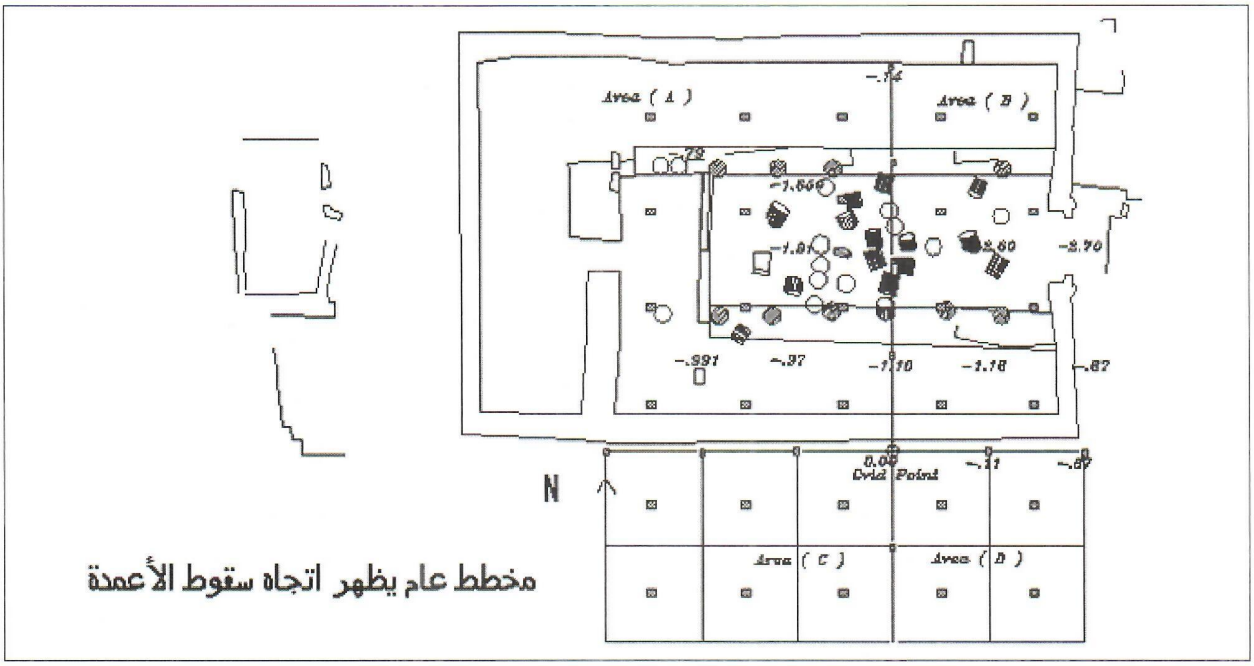

٢. مخطط عام لموقع الكنيسة البيزنطية المقام على مخطط المعبد الروماني.

٣. كسر من فخار العصر الروماني المبكر والعصر الحديدي الأول (العموني).

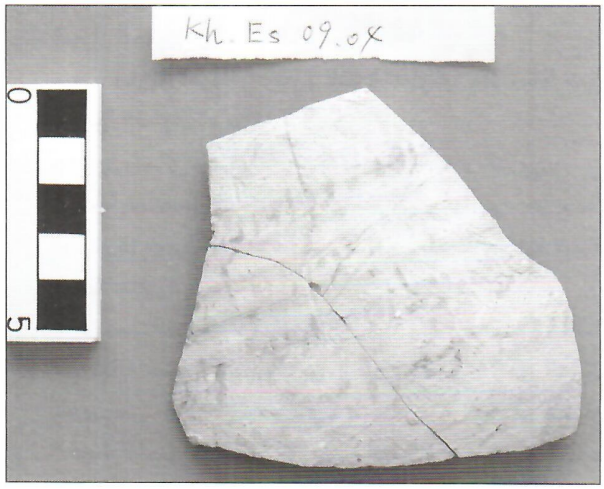

٤. حافة زبدية من الفخار وعليها كتابة بالعربية (يؤرخ هذا الفخار للفترة العباسية).

٣. المربع (C:B4): ويقع هذا المربع خارج شيك المبنى (الموقع المخصص لدائرة الآثار)، وتحوي الطبقات الاثرية جزء من جدار ينخفض تحت مستوى المعبد، ومن الظواهر التي كشفت:

- جدار وسط المربع يمتد شرق-غرب اقيم فوق بقايا ردم الكنيسة، تبين انه يعود للفترة العثمانية.
- ثلاث ارضيات تعود للعصر العثماني المتاخر بدليل الكسر الفخارية التي وجدت على هذه الارضيات.
- أربع طبقات تمثل تراكما حضاريا/ردم، تميز بوجود كسر فخار تدرجت من العصر الروماني القرن الثاني الميلادي إلى العصر الإسلامي المبكر دون انقطاع.
- عثر في مربع (C:B2:5) على تمثال من الفخار المزجج بطول ٢سم تقريبا يمثل حامي المدينة في العصر اليوناني – الروماني (**الشكل ٥**).
- كشفت قطعة عملة تعود لنهاية القرن الاول/الثاني الميلادي.

٤. المربع (A:C1): ويقع عند بداية الرواق الجنوبي من الجهة الغربية، ومن الظواهر التي كشفت:

- الجدار الجنوبي ويتكون بوضوح من مداميك اعيد بناؤها باستخدام حجارة البناء الاصلي بطريقة تخالف الهندسة الاصلية/المخطط.
- الجدار الغربي وينتهي بحجارة عقد لتقابل حجارة الجدار الشرقي ويمثل هذا بناء جديد داخل الكنيسة أقيم فوق لوحة الفسيفساء.
- الجدار الشرقي وينتهي بجزء من العقد المشار اليه سابقا ليكون معه عقدا يتجه شمال- جنوب ليكون وحدة معمارية.

٥. مقطع للتنقيب حيث كشف تمثال مزجج يمثل حامي المدينة في العصر اليوناني/ الهلنستي.

- ارضية فسيفساء مدمرة تماما ويبدو انها كانت من اللون الابيض فقط وما بقي فعلا مكان وضع الفسيفساء، ربما تم نقلها أو العبث بها، تمثل الاطار الخارجي لجناحي الكنيسة من الجهة الغربية (المدخل الرئيسي).
- جزء من عمود في زاوية الغرفة في طرفه ثقب ربما كان يستخدم لربط الخيول داخل الاسطبل في الفتر ة المملوكية.
- تدل قراءة الفخار الذي وجد في أرضية الغرفة على وجود فترة استيطان مملوكي داخل هذه الوحدة المعمارية.

٥. المربع (A:D4): ويقع في الزاوية الشمالية الغربية من الرواق الشمالي، ومن الظواهر التي اعيد اكتشافها:

- استمرار الجدار الشمالي للرواق مع وجود اعادة استخدام واضح في مداميك البناء العلوية، ويمتد هذا الجدار في المربعين(A:B4، A:C4).
- درج يقع عند زاوية المربع الشمالية الشرقية، يتكون من خمس درجات تنتهي بارضية غرفة تتكون من مادة كلسية صلبة ويقابل الدرج حوض من الحجر، وربما كان هناك طابق ثان فوق هذه الغرفة.
- تركيبة من حجارة مبنية تمثل دعامة لاقامة الدرج يقابلها بوابة تقع ضمن الجدار الشرقي لغرفة تعود للفترة المملوكية وذلك من خلال دراسة الفخار الملتقط من على سطح ارضية الغرفة.
- وقد كشف اسفل هذه الارضية رقعة من الفسيفساء الابيض بمكعبات ٢سم تقريبا وربما كانت ارضية غرفة من العصر الاسلامي المبكر لوجود فخار هذا العصر، كما وجدت قطعة فخار عليها كتابة عربية وهي من الخزف العباسي (A:D4:10)، وقد سبق الإشارة لها.

٦. مربع (B:A1): يقع في نهاية الرواق الجنوبي من الجهة الشرقية، واهم الظواهر الاثرية المكتشفة:

- الجدار الجنوبي للرواق وتكثر في مداميكه اعادة الاستخدام لعناصر معمارية ذات فترات مختلفة.
- الجدار الشرقي ويمثل جدار الغرفة الخاصة بالكهنة وفي نهاية هذا الرواق من الشرق مدخل للغرفة اعيد اغلاقه ربما في العصر الاسلامي المبكر.
- الجدار الشمالي يبدو انه يعود لفترة متاخرة فقد اقيم على ارضية من الفسيفساء.
- زخارف هندسية على شكل معينات متشابكة يتوسطها صليب محور وهناك اطار على شكل ضفيرة ملونة وكان يحوي بداخلة ايقونة تم تخريبها او نقلها لوجود فراغ بدون فسيفساء.

٧. مربع(B:B1): يقع في نهاية الرواق الجنوبي من الشرق، ومن اهم الظواهر المكتشفة:

- الجدار الجنوبي والجدار الشرقي.
- سقف الغرفة البرميلي ويعود للفترة المملوكية وقد سقط فوق ارضية الفسيفساء مباشرة.
- جدارين شمالي وغربي لغرفة مدخلها في الجدار الغربي.
- ارضية فسيفساء تحمل زخارف هندسية فيها جزء من جدلة (ضفيرة) ضمن اطار لوحة دمرت بفعل سقوط حجارة كبيرة فوقها مباشرة.
- اعيد نصب أحد الاعمدة بناء على دراسة مقارنة للاعمدة القائمة في نهاية صحن الكنيسة من الجانب الغربي، وهو العمود الثالث من أعمدة الصحن الأوسط للكنيسة حيث تم اختيار الاسطوانات والتاجية بشكل يظهر انها كانت بقايا هذا العمود بعد قياسها وتطبيق ذلك على احد الاعمدة القائمة (**الشكل ٦**).

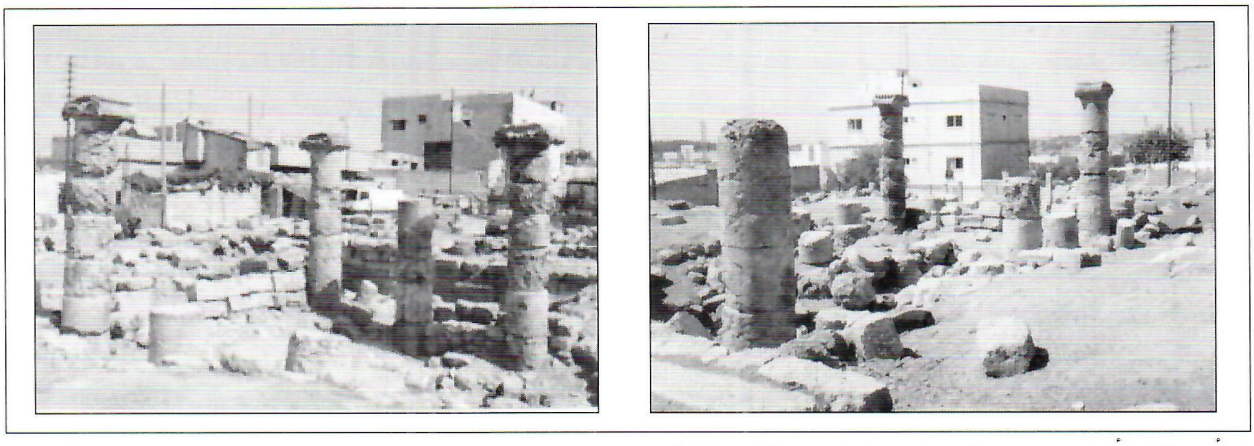

٦. الأعمدة القائمة أصلا وصورة تبين العمود الذي تم إعادة نصبه (العمود الثالث).

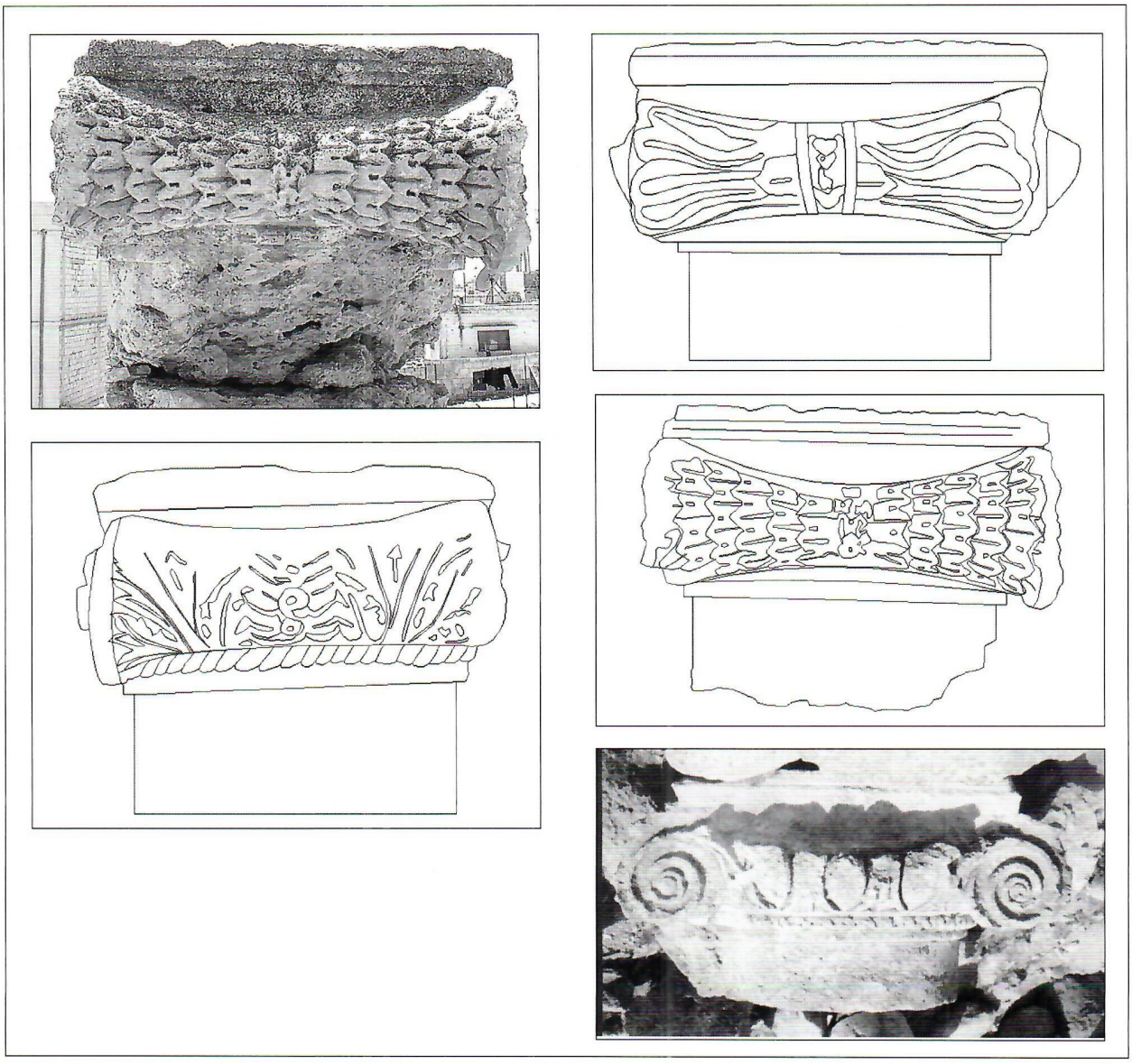

٧. صور ورسومات للأشكال الزخرفية المستخدمة في تيجان الأعمدة.

تحليل

ان ما ظهر في منطقة (A:B4:10a,b,c) يمثل مرحلة الاستيطان قبل استخدام المبنى في العصر البيزنطي ككنيسة داخل جزء المعبد المسمى قدس الاقداس ومنطقة ساحة الممر المعمد الذي أصبح الجدار الخارجي للبازيلكا.

ومن المظاهر المعمارية التي تعود للقرن الاول الميلادي طريقة قطع الحجارة والتي تظهر اطار للحجر بعد تشذيبه وبدون استخدام مادة تثبيت بين الحجارة، كما تبين ان ارضية صحن الكنيسة مبلطة بالحجر الكلسي، وقد تكون اعادة استخدام لارضية المعبد الروماني، وهناك نسبة جيدة من كسر فخار العصر الروماني المبكر.

ومن الملفت وجود تيجان ايونية ما زال بعضها في مكانه على قمة العامود، وهي طراز يوناني في الاصل، ويشير (بتلر) إلى تاج عامود ايوني في منطقة بريكه، ويذكر انه نظام روماني. كما ان (Larche:1991) اورد صورة لتاج وجد في معبد بعل في تدمر وذكر انها مظاهر هلنستية (القرن الاول ق.م) وربما استخدم البناء البيزنطي ما يشبه هذا الطراز في احدى كنائس ام قيس أيضا. كما نحت هذا الطراز على مدخل احد القبور الجماعية في موقع أهل الكهف (مقبرة رومانية) واستخدم في مبنى ضريح النويجيس الروماني وبشكل يخرج من ركن المبنى.

وقد زخرفت هذه التيجان باربعة اشكال مختلفة: كورقة الاكنثس المحورة وشكل يشبه الشارة العسكرية وشكل يشبه سعف النخيل واخر يشبه باقة/ اوحزمة مربوطة بعقدة من المنتصف (**الشكل ٧**).

ومن هنا فان المعبد على اقرب تقدير بنى في بداية العصر الروماني (نهاية القرن الاول ق.م) مع وجود استقرار يعود للعصر العموني.

وكان من ابرز البقايا المعمارية داخل مبنى الكنيسة ما تم بناؤه في العصور الاسلامية منذ بداية العهد الاموي وحتى نهاية العصر العثماني وبشكل مستمر ولغايات بعيدة عن كونه مكان عبادة.

ويظهر ذلك جليا في المداميك العلوية للجدار الاصلي للمعبد و الكنيسة وبعض اجزاء الفسيفساء التي رصفت في العصر الاسلامي المبكر، كما ان هناك عقود وجدران وبقايا معصرة تثبت وجود عمارة تعود للعصر العباسي، وكذلك مبان وعقود تخالف الاتجاهات الاصلية للكنيسة تعود للفترة الايوبية والمملوكية.

إن كل هذه الإضافات المعمارية الجديدة على المخطط الاصلي تؤكد وجود طراز معماري ساد في الفترة الاسلامية وذلك باعادة استخدام كافة العناصر المعمارية المتوفرة وباسلوب يمثل قدرة المهندس على الابداع، لهذا فانني ارى من الضرورة بمكان دراسة ما تم استحداثه من مبان في العصور الاسلامية لتوضيح الاشكال المعمارية وهدف استخدامها والذي يوحي بوجود مركزية حكم او حامية لأمير او قائد حامية في العصر الاسلامي المبكر (الأموي – العباسي).

أديب أبو شميس
دائرة الآثار العامة

المراجع

ابراهيم، معاوية
١٩٧٥ الحفريات الأثرية في الأردن. **حولية دائرة الآثار** ٢٠: ١٦.

زيادين، فوزي
١٩٨٢ الحفريات الأثرية. **حولية دائرة الآثار** ٢٦: ١٢.

Bibliography

Conder, C.R.
1940 Khareibet es Suk. *The Survey of Eastern Palestine*:140-144.

Butler, H.C.
1907 *Architecture in Syria* II.

قلعة القطرانة «العثمانية التركية»

عبد القادر محمود الحصان

الموقع

تقع هذه القلعة الشامخة على يمين الطريق الصحراوي السريع الواصل من عمان إلى معان، وتبعد عن العاصمة عمان مسافة ٩٠كم باتجاه الجنوب، وترتفع عن مستوى سطح البحر بمقدار ٧٩٠م، والقلعة بحد ذاتها تبعد عن بلدة القطرانة باتجاه الشمال الغربي ٤كم. وكما هو الحال في معظم القلاع العثمانية فهذه القلعة أيضا شيدت قريبا منها محطة سكة الحديد الحجازية. كما أن وادي حنيفة يحد الموقع من الجنوب ويجري من الجنوب الشرقي باتجاه الغرب مع ملاحظة واديا آخر يصب في هذا الوادي اسمه وادي الحفيرة. ومن خلال هذين الواديين كانت فكرة الحصاد المائي وتزويد الموقع بالمياه.

ذكر الموقع في المراجع التاريخية

ذكر هذا الموقع في ثلاثة أشكال ضمن كتابات الرحالة والمؤرخين كالتالي: قطرانة، قطراني وقطران وسيتم تبيان ذلك من خلال النصوص اللاحقة عند ذكر منازل الحج.

فقد ذكرها المؤرخ ابن طولون الصالحي في رحلته إلى الحج في شهر شوال عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م في نهاية الحكم المملوكي للمنطقة، قال: «ثم نزلنا بعد المغرب بفلاة قريب خان «القطراني» ويقول مردفا انه وجد بخط الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيح التشبيه في حرف القاف قوله: «والقطراني» منزلة معروفة للحاج الشامي بين الحسا ووادي النسور وبها خان خراب» (ابن طولون: ٨٧٨) وهاتان المقولتان تؤكدان بان بناء الخان كان موجودا في نهاية العصر المملوكي، ولكنه كان خربا مما حدا بالعثمانيين تجديده وبناءه من جديد في منتصف القرن السادس عشر الميلادي. كما ذكرها الشاعر الصلاح الصفدي شعرا عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م بقوله:

في عذاب من بالحساء تغدى وتعشى في الليل بالقطران

(الجزيري ٢: ١٢٥٨)

في عام ٩٦٧هـ/١٥٥٩م أمر السلطان سليمان القانوني بتعمير قلاع بطريق الحج الشامي وتعيين سنجق لكل قلعة، واحدة بالقطرانة وثانية بمعان (كرد علي: ٢٨١).

ومر بها الرحالة المشهور بكبريت في طريق إيابه من استانبول إلى الحجاز عام ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م وقال: «ثم أتينا على «القطراني»، بعد معاقبة عقبات ومحاجر، وهو واد فيه قلعة وبركة ماء تفيض على مثلها» (كبريت: ٢٣٢).

أما الخياري فقد أتحفنا بتحفته (تحفة الأدباء) من خلال ذكره المستفيض للموقع والقلعة على السواء ونقل صورة حية لذلك المشهد الأخاذ أثناء رحلته من الحجاز إلى استانبول عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م فيقول: «ثم سرنا حتى ارتفع النهار ودخل في الساعة الثالثة، وصلنا للمنزل المبارك المسمى بالقطراني فإذا هو واد فسيح به عذوبة هواء ونسيم رطب ولا أقول ريح، فيه قلعة عظيمة البناء لائحة الأشراف والسناء، وجدناها مغلقة الباب ولم ندخلها ولا احد من الأصحاب، بها جماعة من أهلها مقيمون بها يبيعون منها التبن وما يناسبه بالتدلي من أعلاه وإلى جانبها بركة عظيمة الوضع، كثيرة النفع، اخبرني بعض من ذرع جهاتها الأربع انه تسعون ذرعا بذراع العمل وان عمقها سبعة اذرع ينقص ماؤها الآن ذراعا واحدا وستة اذرع معمورة بالماء، وان ماءها هكذا يجتمع من السيل لا من بئر ولا نهر ولا عين، وان لها مدخلان متسعان وإلى جانبها بركة صغيرة تكون لتصفية الماء...» (الخياري: ٨٥).

كما عبرها رحالة دمشقي مجهول الاسم في ذي القعدة عام ١١٢٠هـ/١٧٠٨م، ويقول عنها: «هي قلعة لطيفة ذات عمارة معتبرة محكمة التربيع، مشيدة البناء بالأحجار البيض والكلس والمون، ولها باب من الجهة القبلية... وفي هذه السنة لم ينزل المطر وهذا الماء من العام الماضي»[١].

كما وصفها الموسوي بقوله «هي واد فيه قلعة وبركة ماء زودت هذه القلعة بالماء والشعير والتبن للتسهيل على الحجاج» (الموسوي: ٢٣١).

ومر بها الفقيه الشيخ عبدالغني النابلسي في طريق العودة من ارض الحجاز عام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م ووصفها قائلا: «ثم ركبنا وسرنا مع الحجاج في ذلك الطريق السهل الواسع بلا اعوجاج إلى أن أصبح صباح يوم الأحد ٢٨ من المحرم فصلينا صلاة الصبح

١. مجهول الأسم: رحلة دمشقي إلى الحج-مجلة العرب- العام السادس والعشرين: ١٩٢.

وأشرفنا على قلعة القطرانة، وهي قلعة متينة البناء فيها طائفة من عسكر الشام ينطرون الماء وهناك بركة كبيرة واسعة يجتمع فيها الماء...» (النابلسي: ٤٨٦).

كما مر بها الرحالة أبو القاسم الزياني عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م وقال: «البلقاء وهي قلعة ومنها ثمان عشرة ساعة لقلعة قطرانه، وبها يترك الناس أثقالهم إلى الرجوع، فيها بركة عظيمة للماء، وعمارتها العسكر يحرسونها» (الزياني ١٨٦).

وذكرها الرحالة السويسري بيركهارت قائلا: «وإلى الجنوب الغربي من القطرانة على مسير يوم واحد توجد قلعة الكرك التي يحضر منها العرب القمح والشعير ليبيعوه إلى قائد قلعة القطرانة وهو بدورة يبيعه للحجاج، وتقع قطرانة قرب دائرة عرض ١٥-٣٠ شمالا وخط طول ٢-٣٦ شرقا على وادي الحفيرة» (بيركهارت: ١٧٦).

كما عبر منها الرحالة التونسي محمد السنوسي عند رجوعه من الحجاز عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م إذ قال: «قلعة قطرانة: قد قطعنا في هاته المرحلة بوغاز[٢] وادي الحصى في ارض منخفضة، ونحن مستضيئون بنور القمر. وسرنا في ارض سهلة إلى أن نزلنا حول هاته القلعة الخربة بناها السلطان سليمان، وليس هنالك ماء. وهنالك ضريح احد علماء دمشق الشيخ حامد العطار» (السنوسي: ٢٦٧-٢٦٨).

كما ذكرها عدد من الرحالة الأوروبيين مثل داوتي قائلا: «إنها محطة في منطقة صحراوية تشتمل على مياه عذبة» كما ذكرت ضمن كتابات كل من ستزن، هيل وبرنو عام ١٨٩٨م (بيشة: غيرمنشور).

أما رحلة سويله مز أوغلي إلى بلاد الشام عام ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م فتذكر لنا الكثير عن هذا الموقع الهام إذ يقول: «قلعة قطرانة هي مربعة الشكل طول ضلعها ٢٠م وبناؤها محكم إلى حد ما وهي بحاجة إلى الترميم، وأمامها حوض مربع الشكل طول ضلعه ٥٠م وعمقه ٦م، ولم ينظف هذا الحوض أو يرمم بمرور الزمن، ولهذا يكاد أن يكون نصفه قد غمره الطين وحصلت الشقوق في سطوحه الجانبية» (سويلمة مزأوغلي: ١٤٩).

كما ذكرت القلعة في تقرير محمد علي باشا وذلك بأنها: «قلعة مربعة بقياس ٣٥وحدة بناء مربعة وهي بوضع جيد وتستخدم كمكان للتخزين وبها بركة كبيرة بقياس ١٠٠ وحدة مربعة وبحاجة للتنظيف والترميم والصيانة إضافة إلى وجود قناة مزدوجة وحوض للتنقية أيضا»[٣].

ويذكر باربير تاريخ تأسيس القلعة بمنتصف القرن التاسع عشر وهذا يتوافق مع التاريخ الذي ذكره عدنان البخيت عام ١٥٥٩م والمزامن «للفرمان» الذي أصدره السلطان سليمان القانوني بضرورة بناء قلاع في معان والقطرانة وتبوك (البخيت ١٩٨٢: ٤٩). كما يذكر البخيت في نفس السياق أن حاكم الكرك والشوبك أمر عام ١٥٦٨م بإعادة ترميم وبناء بركة القطرانة وقنواتها وسدها وأرسل لذلك خمس عشرة ألف قطعة ذهبية.

الوصف المعماري لقلعة القطرانة

إن القلعة عبارة عن بناء مستطيل الشكل بطول ٢٢,٢٠م من الشمال إلى الجنوب في كلا واجهتي البناء الغربية والشرقية بينما يتراوح عرضها من الجهتين الشمالية والجنوبية ١٧,٣٥م، علما بأن متوسط ارتفاع القلعة يتراوح ما بين ١٠م-١٠,٥م وذلك حسب ميلان سطح الأرض المشيد عليها القلعة. وتقع البوابة في الجهة الشرقية للقلعة وفي منتصفها على وجه التحديد، وتتكون كالمعتاد من برواز خارجي مرتفع غير نافذ نهايته عقد نصف برميلي على شكل قوس (حذوة حصان) بارتفاع ٤م وعرض ٢٦٠سم، وتبدأ البوابة من جهتها العليا بالانحناء على ارتفاع مترين، وللحنية برواز من الحجر بعرض ٣٥سم وفي منتصفه حجر غلق ويزين أعلى البوابة ثلاثة نتوءات حجرية بارزة بشكل كروي، الأولى العليا على بعد متر واحد من نهاية العقد (حجر الغلق) والأخريان لهما نفس البعد عن حجر الغلق الذي يتوسط البوابة، أما البوابة الخاصة بالدخول فيبلغ ارتفاعها ١٨٥سم وعرضها ١٤٠سم وعمقها للداخل ٣٥سم بعرض مدماك واحد تقريبا من الجدار الأساسي الشرقي، كما يلاحظ وجود طلاقة ضيقة طويلة فوق منتصف العقد وأسفل الكرة الدائرية مباشرة بارتفاع ٥٠سم وعرض ٥سم وعلى محور البوابة المتكاملة وفوقها مباشرة وعلى ارتفاع ٨م توجد سقّاطة خاصة بإسقاط الحجارة والزيت المغلي وأي شيء من شانه حماية البوابة من أي هجوم من الأعداء لاقتحامها ومحاولة فتحها عنوة.

ويلاحظ على يمين المدخل وجود مكان غائر لحجر تذكاري بارتفاع ٥٠سم وعرض ١٠٠سم وعمق داخلي ٦سم زال الآن وبقي أثره، وبقايا الملاط الملصق به لا يزال في مكان اللوحة الحجرية والتي على الأغلب كانت تحوي الكتابة التذكارية المتعلقة بالتأسيس واسم المؤسس أو المجدد للبناء.

ونلاحظ من خلال التدقيق بجدران القلعة الخارجية وخاصة الأمامية أن بين الحجارة مونة بيضاء اللون، من شيد مطفىء إضافة إلى رمل سيل ناعم، كما نرى أن الحجارة المستخدمة للبناء وخاصة الواجهة الأمامية متناسقة من حيث الحجم والنحت، عدد مداميك الحجارة من الأساس حتى الأعلى ٢٦مدماكا حجريا، الاستحكامات الدفاعية عبارة عن قباب صغير «راس قمع» بمحاذاة بعضها البعض لإعطاء قيمة جمالية للقلعة واستخدامها من قبل الرماة كساتر دفاعي، أيضا مع وجود السقّاطات واحدة لكل جهة وكذلك الطلاّقات بأحجام مختلفة للجهات الأربعة، وسيتم دراسة كل نوع على حده لاحقا.

---

٢. بوغاز: كلمة تركية تعني الممر الضيق.

٣. تقرير محمد علي باشا.

أجزاء القلعة

المدخل الرئيس

إن مدخل قلعة القطرانة الحالي محمي بباب حديدي مكون من ظرفتين ومدعم بمغلاقين داخلي وخارجي لإحكام إغلاقه من الجهتين وحمايته من العبث والتخريب. وتقودنا البوابة هذه إلى ردهة صغيرة المساحة يعلوها سقف تتقاطع فيه العقود الجانبية المدببة وتبلغ مساحة هذه الردهة ٣,٤٠م طولا وبعرض ٣م وارتفاع ٢,٥٥سم، ثم نصل إلى الساحة الداخلية المكشوفة، وهذا النظام يذكرنا بالبيت الحوراني «الشامي» المتكامل من حيث الطابق الأول والثاني والساحة المكشوفة الذي عرف في كافة بلاد الشام والعالم العربي الإسلامي عبر العصور. والساحة هذه مستطيلة الشكل ضيقة الجوانب نوعا ما، إذ بلغ طولها ١٨,٦٠م من الشمال إلى الجنوب و٤,١٠م من الشرق إلى الغرب، ويوجد درجتان في كلا الجهتين الشمالية والجنوبية بمقدار عشر درجات لكل واحدة منهما ويلاحظ وجود دربزين خشبي للدرجات وكذلك للممرات الفاصلة ما بين الطابق الثاني والساحة مع وجود أبواب خشبية للقاعات الوسطى الغربية، والساحة الوسطى مبلطة مع دهان الجدران وكل هذه الأمور تمت ما بين عامي ١٩٧٣-١٩٧٤م نتيجة صيانة وترميم القلعة من قبل دائرة الآثار العامة بالتعاون مع الحكومة التركية، وترتكز في كل زاوية من زوايا الفناء الخاص بالقلعة الأربع أربع غرف.

في منتصف الجهة الغربية مدخل مربع من الحجر المنحوت يؤدي إلى مصرف مرتبط مع مستودع الماء «الخزان» ويحيط بالساحة ثماني غرف تكون الطابق الأرضي، والقاعة الوسطى الشرقية منها يبلغ طولها ٤,٧٥م وعرضها ٣,٣٠م أما ارتفاع بوابتها ١,٩٥سم و ٨٠سم عرضا وله حنت حجري منحوت بإتقان، أما ارتفاع الغرفة فيبلغ ٢,٦٨م وارتفاع الأقواس ٢,٣٤م أما عرض الجدران متساوي ١,١٠م وعرض القوس ٦٠سم بسمك ٢٣سم.

أما القاعة الغربية فهي اكبر من سابقة الذكر إذ تبلغ قياساتها ٤,٨٧م طولا ٤,٢٤م عرضا بارتفاع ٢,٩٠م. وإلى الجنوب من الغرفة سابقة الذكر يوجد إيوانين يقودان إلى الساحة المستطيلة ولهما نفس العرض ٤,٢٠م بعمق داخلي ٥م وقد ركب لهما قاطع خشبي نصف دائري حسب القوسة العليا نصف الدائرية مع الأبواب أيضا.

كما أن الغرف الواقعة على الجهة الجنوبية الشرقية لها نفس القياسات ومشابهة لغيرها من حيث الحجم والتصميم وإلى أقصى الشمال توجد غرفة صغيرة مشابهة لغرفة المدخل ولها سقف مزخرف وهي بعرض ٢,٣٠م وطول ٤,٨٠م.

وبعد الصعود عبر الدرجات العشر الموجودة في نهاية الساحة من جهتها الشمالية نصل إلى الممر الذي ينقلنا ما بين جهات القلعة الأربع والمطلة على غرفها الجانبية وساحتها المفتوحة أيضا ومحمي بدرابزين وضع حديثا ما عدا الغرف الجانبية الموجودة على زوايا القلعة الأربع فالغرف الأخرى وخاصة الشرقية على شكل أقواس وعقود نصف برميلية وبلا أبواب، أما الجهة الغربية فلا يوجد غرف معقودة في الوسط لأنها مهدمة ما عدا الغرفتين الموجودتين في زوايا القلعة الشمالية الغربية والغربية الجنوبية والمدعمة بالشبائح الحجرية الطويلة، ودرج موجود في الجهة الشرقية بارتفاع إحدى عشرة درجة، مع ملاحظة عدم وجود الممر العابر ما بين الجهة العليا الواصلة ما بين الجهة الشرقية والغربية لأنه مردوم على الأرجح مثل الغرف الوسطى للطابق الثاني المردومة حاليا أيضا.

إن الجهة الشرقية من الطابق الثاني تتكون من عدة غرف ففي الشمال توجد غرفة صغيرة عرضها من الشمال إلى الجنوب ٣,٢٠م و٣,٥٠م من الشرق إلى الغرب وتحتوي على شباكين متجهين للشمال والشرق وسقفها مزين ويرتفع عن الأرض ٢,٧٠م وارتفاع بوابتها ١,٨٣م. وعلى يسار هذه الغرف توجد ثلاث قاعات مفتوحة على الساحة الوسطى عبر الممر المدعم بالحماية «الدرابزين» والذي يبلغ عرضه ٥١سم.

أما قياس الأولى منها: العرض من الشمال إلى الجنوب ٣م وبعمق للداخل من الغرب إلى الشرق ٤,٢٠م، ونلاحظ على الجدار الشرقي المطل على المدخل الأمامي شباك مستطيل الشكل عبارة عن طلاقة لرمي السهام وإطلاق النار، وعلى يسارها قاعة أخرى لجهة الجنوب اصغر من السابقة بعرض ٢,٣٠م وعمق ٤,٢٠م فيها طلاقة باتجاه الشرق على شكل شباك صغير.

أما القاعة الاخرى فتبلغ قياساتها ٢,٨٠م العرض و٤,٨٠م العمق الشرقي الموازي للجدار الأمامي للقلعة ولهذه القاعة شباك باتجاه الشرق أيضا، وإلى يسارها توجد غرفة في زاوية القلعة الشرقية الجنوبية تبلغ قياساتها ٢,٧٠م وعرضا ٤,٧٠م طولا.

وكما أسلفت فان الجهة الغربية لا يوجد فيها سوى غرفتين في الزوايا وفي الوسط ولا يوجد أي قاعة وعلى الأرجح أنها تعرضت للهدم ولم يتم ترميمها لاحقا وقياسات كل منها غير محددة، ونلاحظ الدرج الصاعد إلى سطح الطابق التالي والخاص بالدفاعات السطحية والمراقبة والمتابعة لمحيط القلعة وطريق الحاج الشامي المار بالمنطقة. والدرج (عبارة عن ١١درجة) يقع في الزاوية الغربية، ويحوي السطح العلوي السقاطات الأربع في الجهات الأربع وكذلك الطلاقات الستة والعشرين العلوية التي تغطي بدورها الجهات الأربع.

الطلاقات وأنواعها

نلاحظ وجود مجموعة من الأنظمة الدفاعية منها الطلاقات الخاصة بالمراقبة وإطلاق النار من البنادق أو استخدام النبال مع العلم أن العثمانيين استخدموا البنادق مبكرا منذ بداية القرن السادس عشر، وفي معركة مرج دابق انتصروا على المماليك بسهولة لاستخدامها.

تقسم الطلاقات إلى نوعين من حيث الشكل والحجم في الجهات الأربع، فالنوع الأول يظهر في الجهة الشرقية الأمامية بأربع طلاقات

وكذلك الجهتين الشمالية والجنوبية بثلاث طلاقات أما الغربية فتساوي الأمامية الشرقية إذ تحوي أربع طلاقات طول الواحدة منها مترا وعرض الفتحة ١٥سم، وترتفع الطلاقتان اللتان في الوسط عن الأرض بمقدار ٤,٥م وكل منها له عتبة حجرية تعلوه بشكل مزخرف.

أما النوع الثاني فهو اقصر وفتحته اصغر قليلا وتقع على ارتفاع ثمانية أمتار من سطح الأرض وكل منها يبعد عن الآخر بمقدار ١٣٠سم، علما بان عدد من هذه الطلاقات أغلقت ولم يبق منها إلا ست طلاقات في جهة الجنوب وثمان في الجهة الغربية، وخمس في الجهة الشمالية أما الجهة الشرقية ففيها «١١ طلاقة» والمفتوح منها سبع فقط.

السقاطات

جزء مهم من أنظمة الدفاع المستخدمة في هذه القلعة وهي موجودة في وسط الوجهات الأربع وأهمها فوق البوابة الرئيسة الشرقية. قياسات الأمامية منها: الارتفاع ١,٩٠م بما في ذلك سقف القبة الحامية وعرضها ١,٨٠م وهي بارزة للخارج بمقدار ٥٥سم عن سطح كل جدار وترتكز على ثلاث ركائز حجرية مشركة مع الجدار لحملها.

أما السقاطات الثلاث الأخرى فهي اقصر قليلا إذ يبلغ ارتفاعها ١,٧٠م وعرضها ١,٤٥م مع عدم وجود قبة فوق كل منها. مع العلم أن تلك القباب «المحقانية الشكل» متوضعة على الجدار الخارجي وبعضها فوق تلك السقاطات ومفرغة من الداخل لجلوس المدافع عليها. ويلاحظ أن ارتفاع القباب ٤٧سم، أما الطلاقات الداخلية فتبلغ سعتها الخارجية ٩٩سم وارتفاعها ٩٦سم وعمقها للداخل ١١٨سم.

أما الطلاقات الجنوبية فتبلغ قياساتها كالتالي: الارتفاع ١,٤–١,٥م العرض ١,٠٧م، (على شكل شباك غير نافذ) عرض الفتحة ١٢سم.

المواد المستخدمة في البناء

استخدمت الحجارة الكلسية ذات اللون المائل للبرتقالي بعضها منحوت بشكل برواز مشطوف على شكل «طبزه» وهي متفرقة وموزعة في الجهة الشرقية الأمامية وعلى الأرجح أنها معاد استخدامها ومنقولة من موقع مملوكي أقدم، وفي معظمها تتراوح قياساتها ٣٠سم × ٦٠سم، ويلاحظ استخدام الملاط والحشوات الحجرية في تغطية العيوب الموجودة في مداميك الحجارة غير المنحوتة جيدا ونسبة الشيد المطفى إلى رمل السيل الناعم ١/١ تقريبا.

أما الحجارة البازلتية فقد استخدمت في الشبائح الحجرية الحاملة للأسقف في الغرف الموجودة في زوايا القلعة الأربع وعلى الأرجح أنها أحضرت من منطقة عنيزة البازلتية. أما الطين العادي فقد استخدم بشكل جزئي لسد الثغرات الداخلية ووضعها ما بين المداميك المكونة للجدار على شكل طين.

مصادر المياه في القلعة

كما هي باقي القلاع والحصون فإن قلعة القطرانة لها بنية تحتية متكاملة لرفدها بالمياه النظيفة، لاستخدامها للشرب وسقاية الدواب، وفي الموقع سد لحجز المياه وتحويلها عبر قناتين مسقوفتين وحوض للتصفية وبركة تبعد عن القلعة بمقدار ٢٦م باتجاه الجنوب الغربي، اما السد فيقع باتجاه الجنوب الشرقي على بعد ٧٥م.

البركة الرئيسة: مربعة الشكل (٧٠ × ٧٠م) بارتفاع ٥,٢٠م مع وجود طمي لا يقل عن متر، يتم النزول إلى البركة عبر درج مبني من الحجر (٢٥ درجة) في الزاوية الشمالية الشرقية، بنيت الجدران من الحجر البازلتي والكلسي ومقصور بقصارة جدارية مكونة من طبقتين خشنة وأخرى ناعمة. كما يلاحظ وجود غرفة مشيدة بالحجارة في نهاية العهد العثماني مزامنة لسكة الحديد الحجازية في الجهة الغربية الشمالية بمحاذاة جدارها الخارجي كانت تستخدم لضخ المياه لمحطة سكة الحديد والقطار على السواء ولا يزال بداخلها المضخة الحديدية التي كانت مستخدمة حتى بداية الخمسينات من القرن الماضي والى جانبها غرفة مشيدة بالاسمنت بنيت لاحقاً.

بركة التصفية: تقع هذه البركة المستطيلة إلى الشرق من البركة الرئيسة وهي بطول ٣٨م وعرض ٦,٦٠م وارتفاع ٢,٤٠م، لها عشر درجات وعرض جدارها (١م). وجدرانها مقصورة بطبقتين من الشيد المطفىء ورمل السيل وتزود هذه المصفاة بقناة مياه مزدوجة تأتي من السد مغلقة ومشيدة بطريقة متقنة وقوية، ويبلغ عرض القناتين معا مع الحاجز الفاصل بينهما ثلاثة أمتار أي أن كل قناة بعرض ١,٠٥م والفاصل بينهما بعرض ٩٠سم وهي مبنية على شكل عقد نصف برميلي مكون من ستة حجارة مرتكزة على كتفين حجريين منحوتين بشكل جيد، وارتفاع كل عين للقناتين ٦٠سم.

أما السد فهو مشيد من الحجارة المنحوتة جيدا بارتفاع خمسة مداميك، ويبلغ طول السد المتبقي الآن ١٩,٢٠٠م وعرضه ٢,٤٥م مع وجود قوس يسمح بدخول المياه وتحويلها إلى القناتين ويبلغ قطر هذا القوس ٢,٨٠م، ويلاحظ وجود جرّار حجري لتحويل المياه عند امتلاء البركة إلى الوادي.

أما مقبرة الموقع فتقع أمام القلعة والسد من الجهة الجنوبية الشرقية على تلة مرتفعة، وللأسف الشديد تعرضت للتخريب والتدمير (الحصان ٢٠٠٧).

عبد القادر محمود الحصان
مركز رحاب للبحوث والدراسات الأثرية
دائرة الآثار العامة

المراجع

ابن طولون الصالحي، محمد بن طولون

٩٥٣هـ البرق السامي. **مجلة العرب** الجزء ١١.

البخيت، محمد عدنان

١٩٨٢ معان وجوارها. **مجلة دراسات تاريخية** ١٢.

بيركهارت، يوهان

١٩٦٩ **رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية**. الجزء الثاني، ترجمة انور عرفات، المطبعة الاردنية – دار الثقافة والفنون: عمان.

بيشة، غازي

دراسة مختصرة للقلاع الاسلامية. غير منشور: دائرة الآثار.

الجزري، عبد القادر بن محمد الانصاري

٢٠٠٧ **الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**. الجزء الثاني: القاهرة.

الحصان، عبد القادر

قيد الطبع **القلاع والخانات العثمانية التركية على طريق الحاج الشامية في الديار الأردنية**. وزارة الثقافة: عمان.

الخياري، المدني

تحفة الادباء.

الزياني، ابو القاسم

١٩٦٧ **الترجمانة الكبرى في اخبار المعمورة برا وبحرا**. المملكة المغربية.

السنوسي، محمد بن عثمان

١٩٨١ **الرحلة الحجازية**. الجزء الثاني. تحقيق على السنوسي: تونس.

سويلمة مزأوغلي، سليمان شفيق

٢٠٠٠ **رحلة سويلمة مزاوغلي على بلاد الشام**. ترجمة فاضل البيات. منشورات جامعة ال البيت.

الموسوي، محمد بن عبدالله بن الحسيني

رحلة الشتاء والصيف. المكتب الاسلامي للطباعة والنشر

النابلسي، عبد الغني

الحقيقة والمجاز.

١. خريطة الأردن توضح مواقع القلاع العثمانية والخط الحديدي الحجازي الأردني.

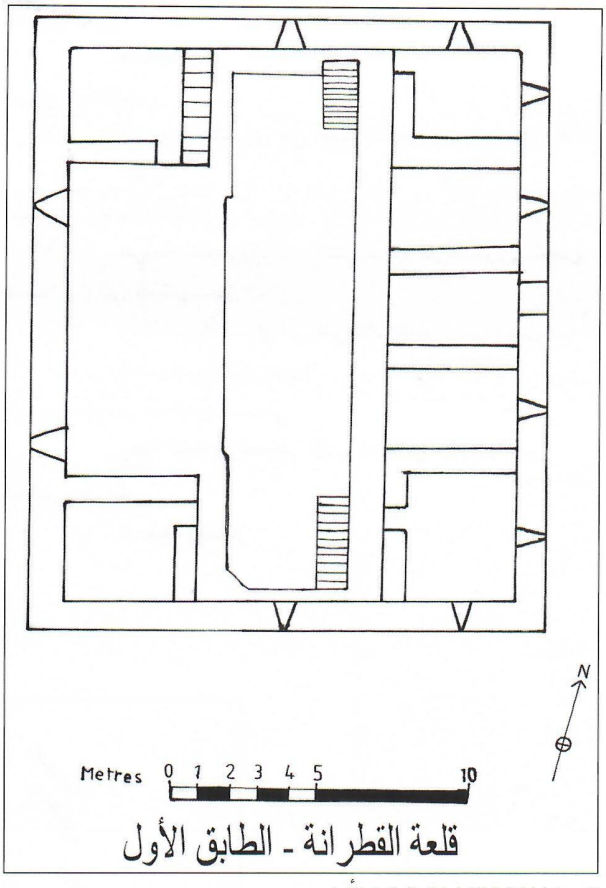

٢. مخطط لقلعة القطرانة–الطابق الأول.

٣. قلعة القطرانة – المدخل الرئيسي.

٤. قلعة القطرانة من الخلف.

٥. بركة القطرانة الكبيرة.

٦. بركة القطرانة ودرجها والمقبرة من خلفها.

٧. القناة المزدوجة لبركة القطرانة.

٨. فتحة دخول المياه لقناة بركة القطرانة ويظهر المغلاق.

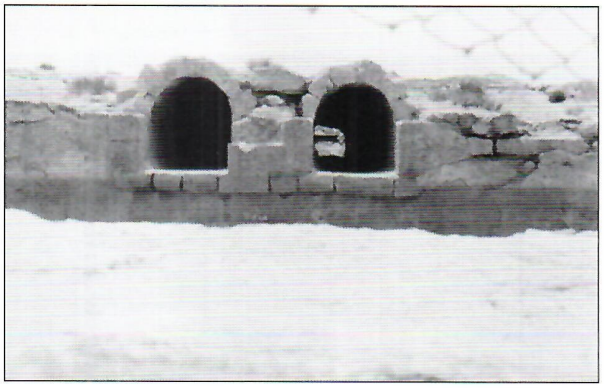

٩. القناة ونظام سقفها البرميلي.

١٠. بركة القطرانة الصغرى – المصفاة.

١١. قلعة القطرانة من الخارج.

١٢. قلعة القطرانة– المقاطعة.

١٣. الكتابات على الجدران.

١٤. سد القطرانة وقنطرة تحويل المياة.

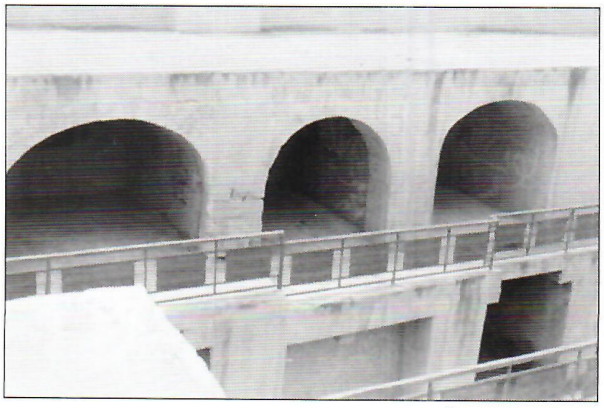

١٥. الطابق الثاني– الجنوب.

١٦. الجهة الجنوبية الغربية للقلعة.

١٩. الطابق الثاني من جهة الشمال.

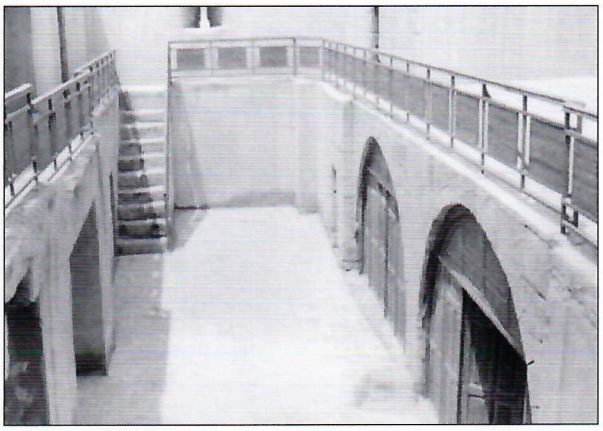

١٧. الساحة الوسطى والدرج الغربي.

٢٠. غرف الطابق الثاني–نظام الطلاقات.

١٨. أقواس الطابق الثاني ودفاعات الطابق الثالث.

القصور الأموية في بادية الشام
توزعها الجغرافي والهدف من بنائها

ابراهيم موسى الزقرطي

القصر في اللغة العربية هو البيت الفخم الواسع ولا ينطبق هذا التعريف على جميع المباني الموجودة في بادية الشام والتي يطلق عليها قصر. لم يطلق بنّاؤا هذه المباني عليها "قصر" انما هو لفظ اطلق فيما بعد. ولفظ قصر يطلقه العامة على جل المباني القديمة، مثل قصر العبد (غرب عمان) وقصر النويجيس في عمان وقصر البنت في البتراء. وحاليا يطلق اسم قصر على منازل الملوك والامراء وبعض الحكام ومنازل الأثرياء المميزة.

والبادية في اللغة العربية هي فضاء واسع فيه المرعى والماء، وينطبق هذا على معظم بادية الشام قديما، وأما الصحراء فهي أرض فضاء واسعة فقيرة بالماء. ويتوافق هذا التعريف مع معظم بادية الشام حديثا.

يتناول هذا البحث التوزع الجغرافي للقصور الاموية في بادية الشام، علما بأن للامويين قصورا في مناطق مختلفة من بلاد الشام، متباينة في الظروف الطبيعية من مناخ وتضاريس، مثل غور الأردن والمرتفعات وسهل البقاع والسهل الساحلي الفلسطيني، وفي مراكز عمرانية مثل دمشق، عمان، القدس، الرملة، مكة، عنجر، شقيرا (قرب الكرك). ويتطلب ذلك التعريف ببادية الشام وظروفها الطبيعية.

كما يتناول البحث الأهداف والأسباب التي وردت في المراجع ومناقشتها وتوافق ذلك مع الوقائع التاريخية والجغرافية.

ولن يتطرق البحث إلى انماط بناء هذه القصور وسعتها ومكوناتها والمادة التي بنيت منها والزخارف والنقوش الموجودة... الخ.

بادية الشام

تشمل بادية الشام المنطقة الواقعة بين وادي نهر الفرات شرقا وحوران والحواف الشرقية للجبال في سوريا والأردن غربا، وبين منطقة حلب في سوريا شمالا ومنطقة سكاكا-الجوف في شمال السعودية جنوبا.

وبذا تمتد غرب العراق وشمال السعودية، وشرق كل من الأردن وسوريا. وتبلغ مساحتها نحو ٥٢٠ الف كيلومتر مربع.

مظاهر السطح

بادية الشام هضبة يتراوح ارتفاعها من ٢٠٠-٦٠٠ متر عن سطح البحر، وانحدارها العام من الغرب إلى الشرق، ويقسم سطحها إلى المناطق الطبيعية الاتية:

- منطقة الوديان: تقع في القسم الشرقي منها، وسميت بذلك لوجود شبكة من الوديان وروافدها تنتهي في نهر الفرات، واهم هذه الأودية - من الشمال إلى الجنوب - : الكور، الوعي، عكاشات، الغدف، الابيض، وامتداد المنطقة العام شمالي غربي - جنوبي شرقي.
- منطقة الحماد: تتكون من قسمين، يقع الأول إلى الغرب من منطقة الوديان وامتداده العام شمالي غربي - جنوبي شرقي، ويمتد من الجبال التدمرية في سوريا حتى سكاكا في السعودية. وتفصل منطقة الحرة القسم الثاني عن الأول. يوجد القسم الثاني في المنطقة الشرقية من الأردن ويمتد إلى السعودية، ومنطقة الحماد غنية بالمياه الجوفية.
- منطقة الحرة: هي منطقة الطفوح والمقذوفات البركانية، تقع بين قسمي الحماد، وتمتد من قرب خان ابو الشامات (شرق دمشق) إلى شمال غرب سكاكا بنحو ١٠٠ كيلومتر.
- مناطق جبلية متفرقة: تشمل عدة سلاسل جبلية وجبال متفرقة، منها: الجبال التدمرية الشمالية والجبال التدمرية الجنوبية، جبل البشري، جبل العرب، جبل العاذريات وجبل الطبيق.

ويوجد في بادية الشام مجموعة من القيعان والسبخات، اهمها: سبخة الجبول وسبخة الموج في سوريا، قاع الأزرق وقاع الجفر في الأردن، خباري البساتين في العراق، منخفض السرحان في السعودية. ومعظم المراجع تعتبر غوطة دمشق ضمن بادية الشام.

مناخ بادية الشام

يسود المناخ الصحراوي في القسم الجنوبي من بادية الشام، والمناخ شبه الصحراوي (السهوب) في معظم البادية خاصة في القسم الشمالي والشمالي الغربي منها. وهو مناخ حار جاف صيفا، بارد ممطر نوعا ما شتاء، معدل الحرارة السنوي من ١٦-٢٤ درجة سلسيوس، يرتفع صيفا إلى ٢٨-٣٤ درجة في تموز، وينخفض إلى ٨- ١٨ درجة في كانون الثاني.

ويتراوح معدل الأمطار من ٥٠-٢٠٠ ملم/السنة، وتتذبذب كمية الأمطار من عام إلى اخر. وتعاقبت على بادية الشام (وبلاد الشام عموما) عبر التاريخ فترات تتفاوت من شديدة الجفاف إلى

الفترة (م)		الأمطار	الفترة (م)		الأمطار
من	إلى		من	إلى	
١	١٨٠	غزيرة الأمطار	١٤٢٧	١٤٦٠	غزيرة الأمطار
١٨٠	٣٩٠	جافة	١٤٦٠	١٥٤٠	جافة
٣٩٠	٤١٥	مطيرة	١٥٤٠	١٦٨٠	غزيرة الأمطار
٤١٥	٦٧٠	شديدة الجفاف	١٦٨٠	١٧٠٨	جافة
٦٧٠	٩٢٥	غزيرة الأمطار	١٧٠٨	١٨٣٨	رطبة
٩٢٥	١١٠٠	شديدة الجفاف	١٨٣٨	١٨٧٥	جافة
١١٠٠	١٣١٠	غزيرة الأمطار	١٨٧٥	١٩٠٠	رطبة
١٣١٠	١٤٢٨	شديدة الجفاف	١٩٠٠	-	شديدة الجفاف

غزيرة الأمطار كالتالي:

ملاحظات:

١- تحدد غزارة الأمطار والجفاف بمعدل الأمطار في العام في المنطقة.

٢- قد تكون بعض السنوات جافة في الفترات الرطبة أو غزيرة الأمطار، وقد تكون بعض السنوات مطيرة في الفترات الجافة أو شديدة الجفاف.

٣- الفترة الاموية امتدت ما بين ٦٦١-٧٥٠ ميلادية، اي انها كانت ضمن الفترة غزيرة الأمطار، عدا أول ٩ سنوات كانت ضمن فترة شديدة الجفاف.

٤- تدهور الحياة الحيوانية والنباتية يتم تدريجيا في فترات الجفاف، خاصة الأشجار والشجيرات، كما ان استعادة الحياة الحيوانية والنباتية في الفترات الرطبة يكون تدريجيا، وقد تنقرض بعض انواع الحيوانات والنباتات في المنطقة بسبب الجفاف.

التوزع الجغرافي للقصور الاموية في بادية الشام

تركزت القصور الاموية في بادية الشام في الجانب الغربي والشمالي منها (**الشكل ١، ٢**) و(**الجدول ١**). ويتضح من الخرائط ان القصور تتخذ شكل قوس أو هلال تتجه فتحته نحو الجنوب الشرقي، ويمتد طرفه الشمالي نحو الشرق اكثر من طرفه الجنوبي، كما انها تواجدت في المنطقة المعروفة باسم الحماد، وخلت منطقة الحرة والوديان منها، اضافة إلى داخل الحدود السعودية والعراقية، اي تركزت في الأردن وسوريا، ويعود ذلك للأسباب التالية:

١- الظروف المناخية وما تبع ذلك من توفر الحياة الحيوانية والنباتية، اذ ان المناخ السائد هو المناخ شبه الصحراوي.

٢- قرب المنطقة من دمشق والمراكز العمرانية الاخرى والمناطق المعمورة بصفة عامة.

٣- رسّخ الامويون وجودهم في بلاد الشام واعتبروا انفسهم جزءا من سكانها، وبنوا علاقة وثيقة مع السكان.

اهداف واسباب بناء القصور الاموية في بادية الشام

حددت المراجع الأهداف أو الأسباب التي من اجلها بنيت القصور الاموية في بادية الشام كالتالي:

١- الحنين إلى حياة البادية كما عاشها الأباء والأجداد.

٢- حرّم الإسلام الغزو بين القبائل، ومن ثم فان العودة إلى البادية وممارسة الصيد بديلا عن الغزوات التي كانت سائدة قبل الإسلام (اي في العصر الجاهلي).

٣- اللجوء إلى البادية لتلقي اللغة العربية الفصحى من سكانها لسلامة لغتهم.

٤- كره الخلفاء الامويين جو ومناخ مدينة دمشق واوبئتها.

٥- القلق والسأم من حياة المدينة والترف.

٦- الإتصال والتواصل مع القبائل العربية المؤيدة للحكم الاموي.

٧- اللهو والعبث والمجون، وممارسة محرمات في الإسلام بعيدا عن اعين الفقهاء والرقباء.

٨- التقليد: تقليد آخرين بالإرتحال إلى البادية، مثل: الامراء الغساسنة، سادات العرب في الجاهلية.

٩- العدل بين الزوجات باحلال كل واحدة في قصر بعيدا عن الاخريات.

١٠- التعالي عن السكان المحليين بالإبتعاد عنهم إلى البادية؟

١١- بعض هذه القصور في مناطق للاستغلال الزراعي.

١٢- بعض هذه القصور في محميات للحيوانات البرية.

ان القراءة الأولية لهذه الأهداف تبرز الملاحظات الاتية

- بعض هذه الأهداف تناقض بعضها، مثل التواصل مع القبائل وتعلم أو تلقي اللغة العربية الفصحى والعدل بين الزوجات مع

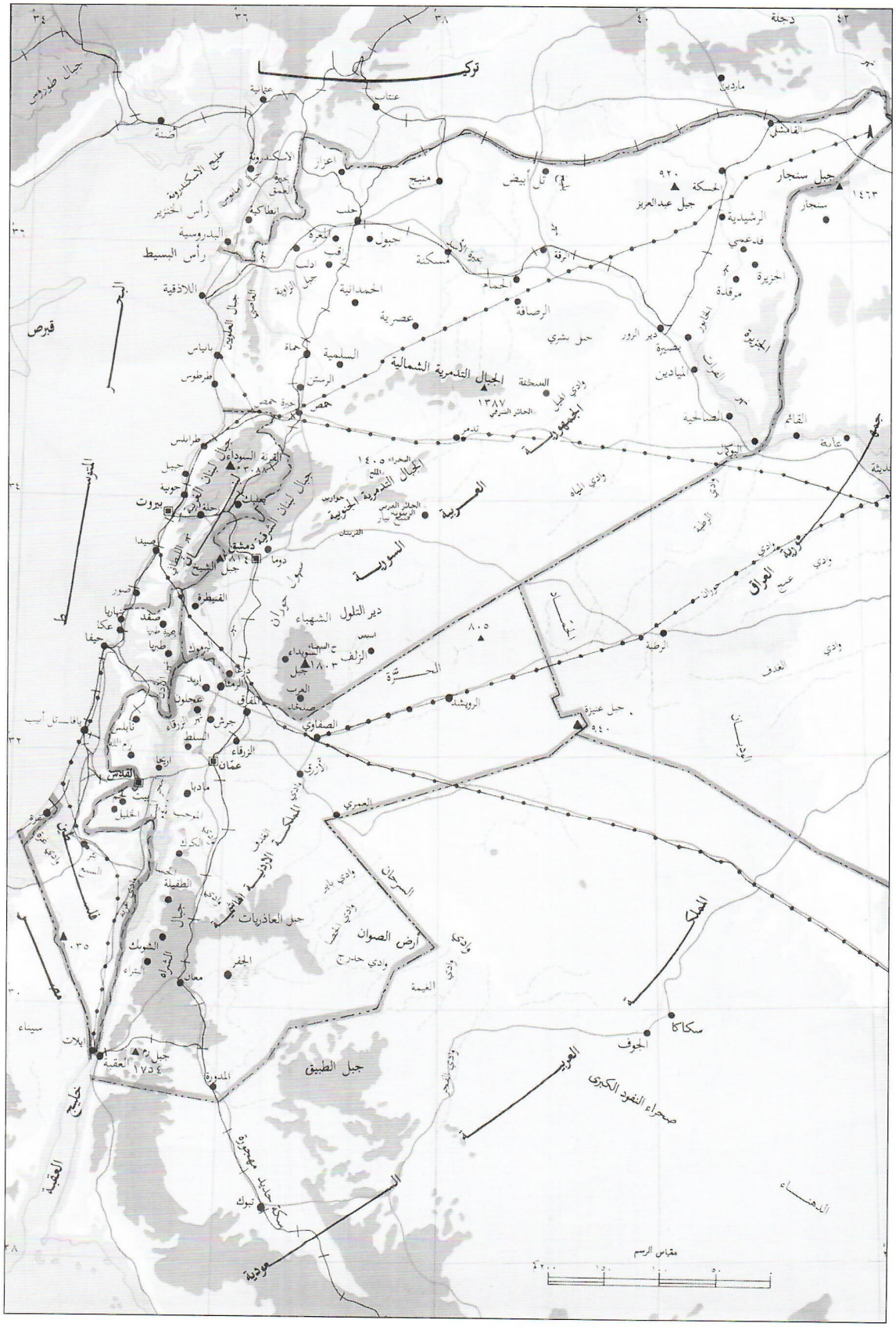

١. خارطة بلاد الشام.

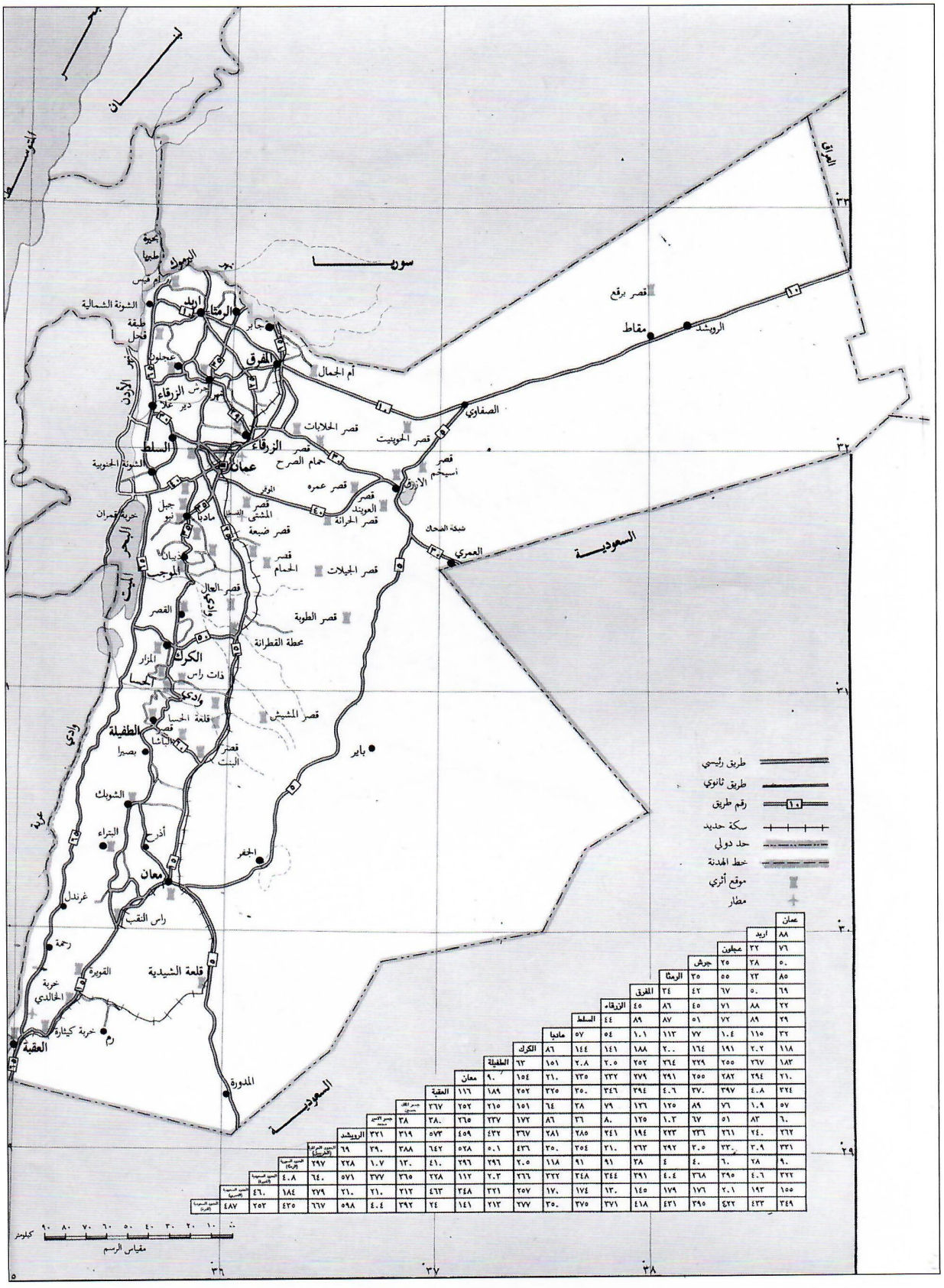

	عمان	إربد	عجلون	جرش	الرمثا	المفرق	الزرقاء	السلط	مادبا	الكرك	الطفيلة	معان	العقبة	جسر الملك حسين	جسر الأمير	الرويشد	الحدود الأردنية (العراقية)	الحدود الأردنية (السورية)	الحدود الأردنية (السعودية)	الحدود السعودية (العراقية)	الحدود السعودية (السورية)
عمان	٨٨	٧٦	٥٠	٨٥	٦٩	٢٢	٢٩	٣٢	١١٨	١٨٣	٢١٠	٢٢٤	٥٧	٢٦٢	٣٣١	٩٠	٢٨٠	١٥٥	٢٤٩	٢٤٩	٢٤٩
إربد		٢٨	٦٠	٤٠	٥٠	٨٨	٨٩	١١٥	٢٠٢	٢٦٧	٢٩٤	٤٠٨	١٠٩	٢٤٠	٣٠٩	٢٨	١٩٣	٤٣٣	٤٣٣	٤٣٣	٤٣٣
عجلون			٣٢	٢٥	٣٥	٤٢	٤٥	٤٤	٥٧	٦٣	٩٠	١١٦	٢٦٧	٣٨	٢٦٥	٣٨٠	٣٢١	٦٩	٢٩٧	٢٢٨	٤٠٨	٦٤٠
جرش				٢٥	٥٥	٦٧	٧١	٧٢	١٠٤	١٩١	٢٥٥	٢٨٢	٣٩٧	٧٦	٥١	٦٧	٢٦١	٣٩٠	٣٩٥	٤٢٢	٤٨٧	٢٥٣
الرمثا					٣٥	٤٢	٤٥	٥١	٧٧	١١٤	٢٥٥	٢٩٤	٣٧٠	١٠٩	٥١	٦٧	٢٦١	٣٠٩	٣٩٥	٤٢٢	٤٨٧	٢٥٣
المفرق						٢٤	٨٦	٨٧	١٠١	٢٠٠	٢٦٤	٢٩١	٣٤٦	١٢٦	١٢٥	١٠٣	٢٩٣	٣٠٥	٣٦٨	٤٢١	٤٩٨	٢٦٧
الزرقاء							٤٥	٨٩	١١٣	١٨٨	٢٢٩	٢٧٩	٢٩٤	١٩٤	١٢٥	٦٧	٢٦١	٢٩٢	٣٦٨	٤٢١	٤٩٨	٢٦٧
السلط							٤٤	٥٤	١٠١	١٤١	٢٣٢	٢٣٥	٣٤٦	٢٤١	٨٠	٦٧	٢٣٦	٢٦٣	٣٩١	٤٣٨	٤٩٨	٢٦٧
مادبا								٥٧	٥٤	١٤٤	٢٠٨	٢١٠	٢٥٠	٢٥٤	٢٦٠	٣٦	٢٨١	٣٥٠	٢٢٢	٣٤٨	٤٩٨	٢٦٧
الكرك									٨٦	١٥١	٢٠٨	٢٣٥	٢٥٠	٢٥٤	٢١٠	٨٦	٢٧٧	٣٥٠	٢٢٢	٣٤٨	٤٩٨	٢٦٧
الطفيلة										٦٣	١٥٤	٢٥٢	٣٦٧	٢٨١	٢٤١	١٧٢	٢٣٦	٤٣٢	٢٥٧	٣٢١	٤٦٣	٢١٢
معان											٩٠	١٨٩	٤٥٩	٥٧٣	٣١٩	٣٨٠	٢٦٥	٢٣٧	٢١٥	٢٠٣	٢٤٨	٢١٠
العقبة												١١٦	٤٣٢	٦٤٢	٥٧٨	٣٨٨	٣٩٠	٤٠٧	٤١٠	٢٩٦	٢٩٦	٢٩٦
جسر الملك حسين												٢٦٧	٢٥٢	٢٥١	٢٦٣	٢٩٢	٣٠٥	٣٣٠	٣٩٦	٤٠٤	٤٠٤	٤٠٤
جسر الأمير													٢٣٧	٢٣٦	٢٣٦	٢٣٣	٣٠٥	٣٣٠	٣٩٦	٤٠٤	٤٠٤	٤٠٤
الرويشد														٤٥٩	١٩٤	٢٤١	٢٨٥	٣٥٤	٣٤٨	٣٤٤	٣٤٤	٣٤٤
الحدود الأردنية (العراقية)															٢٦٣	٢٩٢	٣٠٥	٣٣٠	٣٩١	٤٠٤	٤٠٤	٤٠٤
الحدود الأردنية (السورية)																٣٨٨	٤٠٥	٤٠٦	٤٠٤	٤٠٤	٤٠٤	٤٠٤
الحدود السعودية (العراقية)																	٢٠٥	٢٠١	١٧٩	١٧٦	١٧٦	١٧٦
الحدود السعودية (السورية)																		١٩٣	١٧٩	١٧٦	١٧٦	١٧٦
																			١٤٥	١٣٠	١٣٠	١٣٠
																				١٧٤	١٧٤	١٧٤
																					٣٥٠	٣٧٥
																						٣٧١

٢. خارطة الاردن توضح مواقع القصور وطرق المواصلات.

اللهو والعبث.

- بعض هذه الأهداف تتناقض مع الوقائع الجغرافية، مثل كره مناخ دمشق والإستغلال الزراعي.
- بعض هذه الاهداف تتناقض مع الوقائع التاريخية، مثل الحنين إلى البادية والصيد كبديل للغزو والتعالي عن السكان المحليين.
- تعود هذه التناقضات اما إلى عدم المعرفة الكافية بالحضارة العربية والاسلامية وبتاريخ المنطقة وجغرافيتها، أو أن التشويه كان مقصودا خاصة تشويه صورة بني امية وبالذات العرب عموما.

مناقشة تفصيلية للاهداف

١. الحنين إلى البادية كما عاشها الأباء والأجداد

أ. بنو امية من قريش وهم ابا عن جد من سكان مدينة مكة المكرمة، ولم يسكنوا البادية او يرحلوا اليها وبها، لا في زمن الجاهلية ولا الإسلام، ومن ثم لم يمارسوا حياة التنقل والإرتحال البتة. وهم من ارستقراطية مكة ومن وجهائها وتجارها واثريائها البارزين، وممن اخذ باسباب الحضارة والمدنية، فهم اهل «مدر» وليسو اهل «وبر» أي حضرا وليسو بدوا.

وابو سفيان بن حرب جد الخلفاء الأمويين والد معاوية بن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية كان يرأس قافلة قريش القادمة من بلاد الشام والتي حاول المسلمون اعتراضها، ولكنه غير مسيرها عن طريق التجارة المعتاد عندما عرف أن المسلمين يتربصون بالقافلة، ومن ثم سلمت القافلة، ونتج عن هذا الإعتراض للقافلة «معركة بدر الكبرى» عام ٢هـ الموافق ٦٢٤م.

وكان لقريش رحلتان تجاريتان، رحلة الشتاء إلى اليمن وذلك لان امطار اليمن وعسير تهطل صيفا كونها تتبع نظام الأمطار الموسمية، إضافة إلى اعتدال الحرارة. ورحلة الصيف إلى بلاد الشام كون الأمطار تهطل في بلاد الشام في فصل الشتاء (واواخر الخريف واوائل الربيع) والحرارة معتدلة.

ب. البداوة وحياة التنقل والإرتحال نمط حياة قابل للتغير حسب الظروف والتمازج الحضاري والثقافي والتطور الإقتصادي وليس جينات يورثها الأباء للأبناء.

٢. حرم الاسلام الغزو بين القبائل والعودة إلى البادية وممارسة الصيد بديل عن الغزوات التي كانت سائدة قبل الاسلام (اي في العصر الجاهلي)

١. **الغزو:** عاشت مكة واهلها في أمن وسلام، ولم تتعرض المدينة للغزو او هجمات قبل الإسلام، وحاول ابرهة الحبشي (ابرهة الاشرم) مهاجمتها ولم يفلح. وفي عهد الإسلام تعرضت مكة إلى هجوم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي للقضاء على ثورة الزبير بن العوام ٧٣هـ/٦٩٣م، وهاجمها القرامطة وأخذوا الحجر الأسود وقتلوا حجاجا وغيرهم عام ٣١٧هـ/٩٢٩م، وبإستثناء ما عرف «بحرب الفجار» عام ٥٩٠م بين قريش وكنانة من جهة وقيس عيلان واحلافها من جهة اخرى، وكان سببها قيام البراض بن قيس بقتل عروة بن عتيبة من كلاب، ولم تقم حرب بين اهل مكة وغيرها من القبائل في العصر الجاهلي.

وقد نعمت مكة واهلها بالأمن نتيجة:

- تقديس العرب للكعبة وحجهم اليها، ومن ثم ضرورة المحافظة على امن مكة ليتمكن الراغبين بالحج القيام بذلك بدون خوف أو تعرض للأذى.
- تعرض القبيلة التي قد تغزوا أو تهاجم مكة إلى غضب ومعداة القبائل الاخرى، لأنها بذلك تمس مقدسات القبائل وتعكر صفو الحج، عدا عن عدم تمكن افراد القبيلة المهاجمة الحج إلى مكة والا تعرضوا للانتقام من اهل مكة وغيرهم.
- منعة اهل مكة، ويعزز هذا ابرام "حلف الفضول" الذي عقد في بيت عبدالله بن جدعان، حيث تعاقد وتعاهد اهل مكة على نصرة المظلوم في مكة، سواء كان من اهلها أو من دخلها من سائر الناس، وأن يعيدوا للمظلوم حقه.
- احترام وتقدير القبائل العربية لاهل مكة كونهم حماة الكعبة والقيمين عليها. وعزز ذلك حادثة الفيل اي محاولة ابرهة الحبشي غزو مكة وفشله في ذلك، وماحدث لجيشه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة الفيل «ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل، الم يجعل كيدهم في تضليل، وارسل عليهم طيرا ابابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول».
- ورد في القرآن الكريم العديد من الايات التي اشارت إلى أمن مكة واهلها وهي:

أ- الاية ١٢٥ من سورة البقرة

«...واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ...»

ب- الاية ١٢٦ من سورة البقرة

«...واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات...»

ج- الاية ١٩١ من سورة البقرة (يخاطب المسلمين)

«...ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه...»

د- الاية ٩٧ من سورة ال عمران

«فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا...»

هـ- الاية ٣٥ من سورة ابراهيم

«واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا ...»

و- الاية ٥٧ من سورة القصص

«...أولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء...»

ز- الاية ٦٧ من سورة العنكبوت

«اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم...»

ح -الاية ٤ من سورة الفيل

«الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف»

مما سبق يتضح أن اهل مكة (ومنهم بنو امية) عاشوا في أمن

حولية دائرة الآثار العامة ٥١ (٢٠٠٧)

المنطقة	القصر	باني القصر أو نازله	فترة خلافته (ميلادية)
البادية الأردنية	عمرة	الوليد بن عبد الملك	٧٠٦ – ٧١٤
	برقع	الوليد بن عبد الملك	٧٠٦ – ٧١٤
	الحرانة	الوليد بن عبد الملك	٧٠٦ – ٧١٤
	القسطل	يزيد بن عبد الملك	٧١٩ – ٧٢٣
	الموقر	يزيد بن عبد الملك	٧١٩ – ٧٢٣
	الحلابات	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	حمام الصرح	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الأزرق	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
	باير	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
	زيزياء	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
	شبكة الضحاك	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
	الطوبة	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
	المشتى	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤
البادية السورية	أسيس	الوليد بن عبد الملك	٧٠٦ – ٧١٤
	خ. البيضاء	الوليد بن عبد الملك	٧٠٦ – ٧١٤
	البخراء	يزيد بن عبد الملك	٧١٩ – ٧٢٣
	تدمر	يزيد بن عبد الملك	٧١٩ – ٧٢٣
	الحائر الشرقي	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الحائر الغربي	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	حوارين	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الرصافة	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الزيتونة	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الصواب	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	الملح	هشام بن عبد الملك	٧٢٣ – ٧٤٣
	القريتات	الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤

الجدول رقم (١): القصور الاموية في بادية الشام

وآمان، لم يَغزوا ولم يُغزوا، ولم تتعرض قوافلهم التجارية للإعتراض أو السلب (عدا ما ذكر سابقا)، ومن ثم لم تكن ممارسة الصيد من قبل بني امية بديلا عن الغزو في العصر الجاهلي.

٢. **الصيد**: مارس الانسان الصيد والقنص منذ القدم، اذا كان ذلك احد مصادر الغذاء، ومع التقدم الحضاري والمعرفي اصبح الصيد والقنص يمارس من قبل فئتين: الفقراء والمحتاجون

ويمارسونه من اجل الغذاء والنواحي المادية (وقليل منهم هواية)، والأغنياء والمقتدرون منهم والحكام والامراء، يمارسونه كهواية من اجل المتعة وكنوع من الرياضة والمران والمغامرة، ويتجلى ذلك في الفروسية واستعمال القوس والرمح، والشجاعة في منازل الوحوش الكاسرة، عدا عن اسكتشاف مناطق جديدة والتعرف عليها. ومازال الامر كذلك في عالمنا المعاصر مثل قيام ملوك وامراء وحكام واثرياء برحلات صيد واستجمام في بلادهم أو خارجها، وتستخدم البنادق بدلا من القوس، والسيارات بدلا من الخيل.

وممارسة الصيد في البادية يتيح استخدام الخيل في المطاردة اما في المناطق الجبلية فيصعب استخدام الخيل لوعورتها ولإمكانية تواري الفرائس بسهولة بين الصخور والأشجار وفي الوديان.

وبناء القصور في البادية موطن الصيد هي لإقامة وتوفير سبل الراحة للخلفاء والامراء وحاشيتهم.

وكانت بادية الشام غنية بالحيوانات مثل الأسد الأسيوي والنمر والفهد والذئب وابن آوى والثعالب من الحيوانات المفترسة، والايل والوعل والارانب والحمار الوحشي والمها والغزال والثور والخنزير البري من الحيوانات العاشبة، والنعام والطاووس والبط والحبارى والقطا واليمام والنسر والعقاب من الطيور.

وتشير المراجع ان معظم هذه الحيوانات انقرضت في القرن الخامس عشر ومع ذلك وجدت حيوانات فرادى مثل الأسد الأسيوي وجد في منطقة حلب عام ١٩٢٠م، وقتلت اخر انثى فهد مع صغيرها في الأردن صيف ١٩٦٢، وقتل عمال نفط في شمال السعودية اربعة فهود عام ١٩٥٠، وصدمت سيارة فهد في غرب العراق عام ١٩٤٨، واخر مرة شوهد الأيل الأسمر في البادية عام ١٩٢٢ والنعامة عام ١٩٣٢.

٣. اللجوء إلى البادية لتلقي اللغة العربية الفصحى من سكانها لسلامة لغتهم

أ. قبائل بادية الشام معظمها من غسان وكلب وبعض تغلب، وهي قبائل لم يعدها علماء اللغة العربية من القبائل ذات اللغة العربية المثلى لاختلاطها بالجوار من غير العرب. وافصح القبائل حسب رأيهم :قيس وتميم واسد بدرجة رئيسة، وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين بدرجة ثانوية، وجميعها تسكن في قلب الجزيرة العربية بعيدا عن غير العرب.

ب. تلقن اللغة العربية يكون عادة في الصغر وليس في سن الشباب أو الكهولة، وبذا فالخلفاء الامويون ليسوا في عمر يناسب تلقن اللغة العربية.

ج- اذا افترضنا جدلا (مع التأكيد على جدلا) ان الخلفاء الامويين ارادوا تلقي اللغة العربية هم او اولادهم من قبائل بادية الشام، فان ذلك يتطلب مخالطة مستمرة للقبائل، اي الإقامة معهم في مضاربهم او تواجدهم عند مواقع القصور الاموية، وهما امران يمكن القول انه يتعذر ان لم يكن يستحيل حدوثهما فالتنقل مع القبائل لا يوفر البيئة الملائمة لتنشئة الامراء واقامة القبائل حول القصور الاموية متعذر لعدم توفر البيئة الملائمة لمتطلبات نمط الحياة في البادية، عدا ان ذلك سيقيد تحركات وسلوك الخلفاء والامراء، ثم ان ذلك لم يرد في المصادر التاريخية وغيرها.

٤. كره الخلفاء والامراء الامويين لجو ومناخ مدينة دمشق وأوبئتها

تقع مدينة دمشق ضمن الاقليم المناخي الجاف (شبه الصحراوي) وهو مناخ حار جاف صيفا، بارد شتاء، معتدل في الربيع والخريف، والرطوبة الجوية منخفضة. وهذا المناخ افضل بكثير من المناخ السائد في الجزيرة العربية بإستثناء منطقة عسير والطائف في السعودية وبعض مناطق اليمن وعمان، ودمشق ليست من مناطق الأوبئة أو التي تتكرر بها الأوبئة ولو كانت كذلك لما اتخذت المقر الإداري الرئيس في العهد الروماني وفي عهد الخلفاء الراشدين، ثم عاصمة للدولة الاموية، خاصة وأن البدائل كثيرة في بلاد الشام، ودمشق من اقدم المدن والمراكز الادارية والعواصم في العالم.

٥. القلق والسأم من حياة المدينة والترف

هذا مقبول، فالإنسان بطبعه ملول يحب التغيير والترفيه عن النفس، وهذا ما يفعله الملوك والامراء والحكام والأثرياء بقيامهم برحلات استجمام منوعة إلى مناطق غير مناطق سكناهم، وكثير منهم يملكون قصورا أو بيوتا في مناطق الاستجمام، وخروج الناس في الأردن إلى مناطق التنزه كالاغوار في الشتاء والمرتفعات في الصيف في ايام العطل والأعياد مثال على هذا السلوك.

٦. الإتصال والتواصل مع القبائل العربية المؤيدة للحكم الاموي

التواصل مع القبائل المؤيدة والموالية لبني امية والمتواجدة في بادية الشام يفترض أن يتم عن طريق:

أ- قيام الخلفاء والامراء الامويين بزيارة رؤساء وزعماء هذه القبائل في مضاربهم، وهذا لا يحتاج إلى وجود القصور في البادية.

ب- استقدام رؤساء وزعماء القبائل إلى القصور في البادية هو أمر قد يحدث، ولكنه ليس مبررا منطقيا لبنائها، ويمكن استقدامهم إلى دمشق.

ج- يتعذر اقامة القبائل حول القصور كما ورد سابقا.

٧. اللهو والعبث والمجون وممارسة محرمات في الإسلام بعيدا عن اعين الفقهاء والرقباء

أ- تشويه صورة بني امية بالذات، والعباسيين والعرب عموما ساهم

به كثير من الكتاب لأسباب عدة منها:

١- دينية: وسببها الخلاف بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان، وما تبع ذلك من احداث، وكرّسها مقتل الحسين بن علي على يد جيش يزيد بن معاوية في كربلاء عام ٦١ هـ/٦٨١م.

٢- سياسية: الصراع العربي – العربي على الحكم وخاصة الصراع الاموي العباسي.

٣- حضارية: الصراع الحضاري بين العرب وغيرهم كالفرس والترك والروم ...الخ.

٤- بروز الحس القومي في البلاد التي فتحها العرب المسلمون.

وخير مثال على تشويه صورة العرب والخلفاء كتاب "الاغاني" لابي فرج الاصفهاني، والهدف منه واضح لكل فكر محايد.

ب- يمكن للخلفاء والامراء الامويين ممارسة ما يرغبون به في قصورهم في دمشق أو القصور الاخرى المنتشرة في بلاد الشام في مناطق غير البادية، وفي جميع اوقات السنة، ودون الحاجة إلى سفر مرهق إلى البادية واقتصار ذلك على اوقات محددة من السنة. ثم أن اللهو والعبث والمجون يتطلب اصطحاب ادواته، من خمور وجواري ومغنين ...الخ والسفر عدة ايام للوصول إلى القصور ركوبا على الخيل والابل وغيرها من الدواب، ومواكب كهذه لايمكن حجبها عن اعين الناس سواء في دمشق أو الطرق المسلوكة عادة بالقوافل والمسافرين.

ج- كيف سيمارس الخلفاء والامراء الامويون اللهو والعبث والمجون في مناطق تواجد القبائل المؤيدة لهم (أو غير المؤيدة لهم)، أن ذلك يتعارض ويتنافى بشدة مع اخلاقيات وسلوكيات القبائل خاصة بعد أن تمكن الإسلام في قلوبهم.

د- يصعب ان لم يكن يستحيل اخفاء سلوكيات اللهو والعبث والمجون عن الناس، اذ قد تُخفى عنهم لفترة قصيرة ولكنها عاجلا أم اجلا سيعرفها القاصي والداني، فالمثل يقول "قيل ما الذي لا يعرف، قيل الذي لا يحدث".

٨. التقليد

تقليد اخرين بالإرتحال إلى البادية مثل :الامراء الغسانيون، سادات العرب في الجاهلية.

الإرتحال والسفر وارتياد مناطق جديدة وممارسة الصيد سلوكيات مارسها الإنسان منذ القدم، وهي مستمرة للان، اذ هي من طبيعة وهوايات الإنسان في كل زمان ومكان وقد ذكر ذلك سابقا.

٩. العدل بين الزوجات باحلال كل واحدة في قصر بعيدا عن الاخريات

يتنافى ذلك مع النطق والواقع الجغرافي للأسباب التالية:

١. يوجد قصور اموية في بادية الشام ومناطق اخرى من بلاد الشام كما ورد سابقا، وتخصيص قصر لكل زوجة في البادية سيقابله تخصيص قصر لكل زوجة في مناطق بلاد الشام الاخرى.

٢. اذا اخذ بالإعتبار ان الوصول إلى القصور في البادية والعودة منها يحتاج إلى ايام بل واسابيع بالنسبة لبعضها لبعدها عن دمشق؛ فان ذلك لا يمكن الخليفة من اصطحاب اكثر من زوجة ثم ايصال كل واحدة إلى قصرها، ثم المكوث فترة مع هذه واخرى مع تلك. وأما اذا افترض انه كان يأخذ معه زوجة في كل رحلة إلى قصرها المفترض فان ذلك يتطلب ان يقوم بذلك عدة مرات في السنة وربما بعدد زوجاته، وكون مثل هذه الرحلات تتم في الربيع على الاكثر وبعض الخريف لظروف البادية المناخية فان ذلك سيؤدي إلى سفر شبه مستمر للخليفة وبالتالي تغيب عن دار الخلافة في دمشق، مما يؤثر على تصريف امور الدولة، عدا عن الإجهاد والإرهاق.

٣. يتناقض اصطحاب الخليفة لزوجته او زوجاته إلى قصور البادية مع ما ذكر من ان من اهداف بناء القصور في البادية اللهو والعبث والمجون.

٤. القول بأن للزوجة الواحدة قصرا بعينه قريبا من مضارب اهلها في البادية؛ يعني ان للخلفاء زوجات من سكان البادية الراتعين عند القصور، وان الزوجات يعشن في القصور وفي مضارب اهلهن بانتظار قدوم الخليفة بين حين وآخر، وهذا امر لم يرد في المصادر، ويمكن القول انه بعيد الإحتمال جدا.

١٠. التعالي عن السكان المحليين بالإبتعاد عنهم إلى البادية

تعرّبت بلاد الشام قبل قرون من الفتح الاسلامي، وتوزعت القبائل العربية قبل الفتح الاسلامي كالتالي:

- غسان: منطقة دمشق وحوران.
- قضاعة: البلقاء وجنوب شرق الاردن.
- تنوخ: منطقة قنسرين وحلب.
- سليح وبعض طيء: جوار تنوخ.
- لخم وجذام: جنوب الاردن وجنوب فلسطين.
- كلب: منطقة تدمر وجنوب البادية.
- تغلب وربيعة: الجزيرة الفراتية.

واثناء الفتح الإسلامي وبعده قدمت قبائل جديدة واستقرت في بلاد الشام في مناطق استقرار القبائل السابقة، وفي مناطق مختلفة من بلاد الشام بحيث شملت معظم ان لم يكن كل بلاد الشام، ومن هذه القبائل: حِمير، مذحج، همدان، طيء، الازد، كندة، قيس، اسد، تميم، كنانة وغيرها.

ومن ثم فسكان بلاد الشام جلهم من العرب، ومن قبائل عربية معروفة، وقليل من السكان من اعراق اخرى، وبالتالي لن يتعالى بنو امية عن سكان هم من بني جلدتهم.

١١. بعض هذه القصور في مناطق للاستغلال الزراعي (اي مزارع)

تقوم الزراعة في منطقة ما اذا توفرت مقوماتها وهي المياه، التربة الصالحة، المناخ الملائم، الايدي العاملة، رأس المال والاسواق ...الخ، كأي مشروع اقتصادي.

والزراعة اما ان تكون للاستثمار اي بيع المنتوج وتحقيق الربح أو للاستجمام اي قضاء اوقات الفراغ بها للترويح عن النفس، ومن ثم لا تهدف إلى الربح المادي، وقد تشمل الإثنين معا احيانا.

تتوفر مقومات مزارع الاستثمار والاستجمام في المناطق الغربية من بلاد الشام من سهول ساحلية وداخلية ،وفي المرتفعات والاغوار، وتنوع المناخ يسمح بزراعة انواع شتى من المحاصيل والاشجار المثمرة، ومن هذه المناطق: سهل البقاع، غوطة دمشق (احد الجنان الاربع كما وصفها الاقدمون)، سهول حوران، سهول الاغوار، سهل عكار، سهل عكا، سهل يافا والرملة، سهول الكرك وغيرها كثير، فلو اراد بنو امية مزارع للاستثمار أو الاستجمام لاختاروها في المناطق المذكورة هذه، فعدا عن صلاحيتها فهي قريبة من دمشق، خاصة وان اراض شاسعة من بلاد الشام آلت ملكيتها إلى المسلمين، ووزع الكثير منها بين القبائل، وتملك بنو امية مساحات واسعة منها في مناطق مختلفة، اذ كان لمعاوية بن ابي سفيان عدة قرى قرب دمشق وعسقلان، ولعتبة بن ابي سفيان قرية السطح قرب دمشق، ولهشام بن عبد الملك دورين وقراها وقرى سلعوس وكفر جدا قرب الرها. وتذكر المصادر ان جل ملاك الاراضي كانوا من الامراء وبعض زعماء القبائل (الدوري ١٩٧٤). من كل ذلك يستنتج ان الخلفاء والامراء الامويين امتلكوا مساحات واسعة من الاراضي بها كل مقومات الزراعة ، لذا هم ليسوا بحاجة الى الذهاب الى مناطق معزولة في البادية لا تتوفر بها مقومات الزراعة بدرجة كافية وبعيدة عن دمشق لاقامة مزارع بها.

وسيضح سبب وجود مخلفات اثرية تشير إلى وجود نوع من الاستغلال الزراعي عند بعض القصور في البند اللاحق (١٢).

١٢. بعض هذه القصور في مناطق «محميات للحيوان»

المحمية الطبيعية: منطقة جغرافية محددة المساحة، تكاد لا توجد دولة في العالم الان لا يوجد بها محمية او محميات طبيعية، ويتفاوت عدد ومساحة المحميات داخل الدولة نفسها ومن دولة إلى اخرى تبعا لمساحة الدولة والتنوع البيئي، وتكون المحمية عادة تحت اشراف الحكومة، وتحتوي على نباتات أو حيوانات أو كليهما معا مهددة بالانقراض، مما يتطلب الحفاظ عليها وحمايتها من التعديات أو التلوث. وقد تزرع المحميات بنباتات أو يجلب اليها حيوانات كانت قد انقرضت من منطقتها، ويمنع مزاولة اي نشاطات في المحمية قد تؤثر على ما بها من نبات أو حيوان.

ويوجد في الأردن على سبيل المثال محميات: الازرق (**الشكل ٣**)، الموجب، عجلون، الشومري وضانا، وفي مصر: رأس محمد، سانت

٣. شجرة البقيعاوية/ شجرة بطم- محمية الأزرق.

كاترين، وادي الريان، وفي عمان: المها العربي ، السلاحف، جبل سمحان.

ويوجد محميات تحتوي على احافير من عصور جيولوجية مثل: وادي الحيتان في الفيوم والغابة الحجرية في العباسية في مصر.

وانشاء نوع من المحميات عند بعض القصور الاموية وخاصة فيما عرف بالحائر كان من اجل جلب بعض الحيوانات البرية اليها، وحشرها بها كي يتم اطلاقها خارج المحمية ومن ثم مطاردتها وصيدها، لان المساحة ضمن سور الحائر محدودة نوعا ما لا تسمح بالمطاردة ركوبا على الخيل، خاصة وان الحائر زرع بنباتات مختلفة لتوفير الغذاء للحيوانات العاشبة التي بدورها غذاء للحيوانات المفترسة الموجودة في الحائر، وهذا يفسر السبب في وجود منشآت الري من قنوات وسدود.

وقد تم حشر الحيوانات البرية في الحائر بسبب تناقصها والذي يعود إلى:

١. الاسراف في الصيد.
٢. الرعي الجائر الذي ادى إلى تناقص غذاء الحيوانات البرية العاشبة.
٣. قطع الاشجار والشجيرات لاستخدامها كوقود وعلف.
٤. قدوم بعض القبائل العربية بعد الفتح إلى بادية الشام مما شكل ضغطا على مواردها.
٥. التغيرات المناخية كما ورد سابقا.

الخلاصة

مما سبق يمكن القول بأن القصور الاموية في بادية الشام بنيت للاقامة بها من اجل:

١- الاستجمام والترويح عن النفس بعيدا عن حياة المدن.
٢- الصيد والقنص وممارسة الفروسية.
٣- بعضها في مناطق محميات للحيوانات البرية.

ابراهيم الزقرطي
جائزة الحسن للشباب
zoqurti@yahoo.com

المراجع

الزقرطي، ابراهيم موسى

١٩٧٨ **اثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للاردن**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.

١٩٨٤ **مناخ البادية الاردنية**. المركز الجغرافي الملكي الاردني: عمان.

اتحاد الجامعات العربية

١٩٩٥ **اطلس الوطن العربي**، الجزء الطبيعي، القاهرة.

البلاذري، احمد بن يحيى

١٩٨٨ **فتوح البلدان**. مكتبة الهلال: بيروت.

قطب، سيد

١٩٨٦ **في ظلال القران**. دار العلم للطباعة والنشر: جدة.

الدوري، عبد العزيز

١٩٧٤ **العرب والارض في بلاد الشام**. المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ٢٠-٢٥/٤/١٩٧٤ عمان، الدار المتحدة للنشر: بيروت.

عابد، عبد القادر

١٩٨٢ **جيولوجية الاردن**. مكتبة النهضة الاسلامية، عمان.

١٩٨٥ **جيولوجية البحر الميت**. دار الارقم، عمان.

بيشة، غازي

١٩٧٤ **القصور الاموية في الاردن**. وزارة السياحة والاثار، عمان.

طوقان، فواز

١٩٧٤ **الحائر في العمارة الاموية**. المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ٢٠-٢٥/٤/١٩٧٤ عمان، الدار المتحدة للنشر، بيروت.

١٩٧٩ **الحائر بحث في القصور الاموية في البادية**. وزارة الثقافة والشباب، عمان.

١٩٦٩ **القصور الصحراوية لماذا ابتنيت**. مديرية الاثار المجلد ١٤: ٤-١٩. عمان.

زيادين، فوزي

عمان الكبرى، اثار وحضارة. امانة عمان الكبرى، عمان.

القران الكريم

١٩٦٩ المساحة العسكرية السورية: خريطة سوريا لبنان ١ : ٧٥٠٠٠٠، دمشق.

عبد الباقي، محمد فؤاد

١٩٧٠ **المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم** ، دار احياء التراث العربي، بيروت .

العابدي ، محمود

١٩٥٨ **القصور الاموية** ، الشركة الصناعية: عمان .

المركز الجغرافي الملكي الاردني

٢٠٠٤ **اطلس الاردن والعالم** ، عمان

الطائي، منى احمد

٢٠٠٤ **المعالم الاثرية في المملكة الاردنية الهاشمية** : عمان

الروسان، نايف و الزقرطي، ابراهيم و العنانزة، علي

٢٠٠٥ **جغرافية الاردن** ، ط ٢،دار الشروق ، عمان .

شحادة، نعمان

١٩٩١ **مناخ الاردن** ، دار البشير ، عمان .

صيانة أرضية كنيسة القديسين «كوزموس و دميانوس» الفسيفسائية مدينة جرش الأثرية

بلال خريسات، كاترينا الحمارنة، عبد المجيد مجلي

المقدمة

تمتاز مدينة جرش الأثرية بوجود العديد من المخلفات الأثرية التي تعود لعصور متعددة، من أهم هذه المخلفات الأثرية الفسيفساء.

وجدت الفسيفساء في جرش في أغلب الأحيان على صورة أرضيات في الأماكن العامة والخاصة مثل: المعابد والكنائس والقصور والممرات العامة. تصنف الفسيفساء حسب طريقة بنائها إلى: فسيفساء أرضية وفسيفساء جدارية؛ أو حسب ظروف اكتشافها إلى فسيفساء مكشوفة وهذا النوع يكون في العادة قد تعرض لعوامل التلف والحت والتعريه. والثاني الفسيفساء المطمورة وهي الفسيفساء التي يتم الكشف عنها بباطن الأرض عن طريق الحفريات الأثرية، وهذا النوع عادة ما يكون محافظ عليه أكثر.

تبدأ عمليات التلف والحت والتعرية بالتسارع بعد الكشف عن الأرضيات، بسبب تعرض المكعبات الصخرية والملاط (المادة المثبتة لها) لعوامل وظروف بيئية جديدة تختلف عن الظروف التي حفظت بها، وإذا لم يتم المحافظة عليها، فإن تدهور الأرضيات يمكن أن يتزايد إلى حد لا يمكن معالجته. تعد الأرضية الفسيفسائية المكتشفة في كنيسة القديسين كوزموس ودميانوس من أهم الأمثلة على هذا النوع.

عام ١٩٢٩م كشفت الحفريات التي قامت بها جامعة «ييل» بإشراف الدكتور «كروفوت» في المنطقة الواقعة ما بين البوابة الغربية وكنيسة القديس «ثيودور» مجمعاً كنسياً مركزياً مؤلفاً من ثلاث كنائس هي: كنيسة الأسقف جورج، كنيسة يوحنا المعمدان وكنيسة القديسين كوزموس ودميانوس، أرخت جميعها للقرن السادس الميلادي (Crowfoot 1930: 20).

كنيسة القديسين كوزموس ودميانوس

تقع إلى الشمال من المجمع الكنسي، يحدها من الشمال مقطع صخري طبيعي استعمل جزء منه في الجدار الشمالي، ومن الجنوب كنيسة يوحنا المعمدان، إلى الشرق منها تقع كاتدرائية جرش ومن الغرب فيمتد سور المدينة (**الشكل ١**).

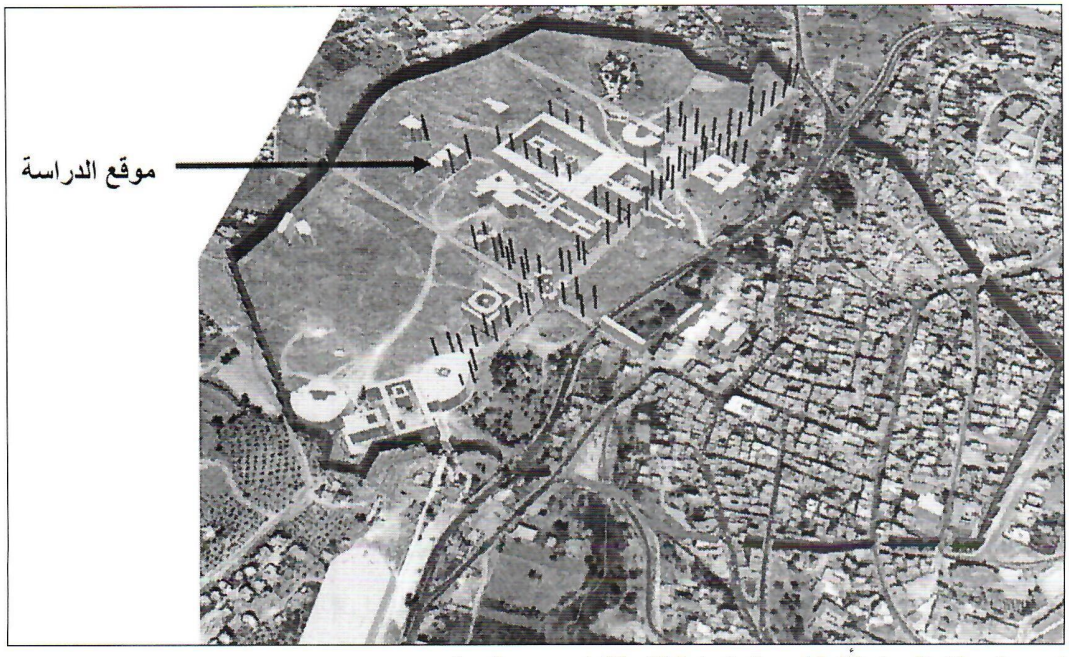

١. صورة جوية لمدينة جرش الأثرية تبين موقع الدراسة (كنيسة كوزموس ودميانوس).

كرست هذه الكنيسة للأخوين التوأمين الشهيدين كوزموس ودميانوس اللذين ولدا في المقاطعة العربية الرومانية، درسا الطب في سوريا، وعرفا بعلاج المرضى مجاناً، مما دفع الكثيرين لإعتناق الديانة المسيحية على أيديهم، فأصبحا راعيين للطب والصيدلة. جاء استشهادهما إبان حكم الإمبراطور الروماني «ديوكلتيان» في صيقليا حوالي العام ٣٠٥م (Browning 1983: 193). وبموجب كتابة الإهداء المرصوفة قرب قدس الأقداس، تم تأريخ بناء الكنيسة إلى العام (٥٣٣م)، أثناء أسقفية الكاهن بولس (Piccirillo 1993: 288-289; Krealing 1938: 33).

وصف البناء (الشكل ٢)

بنيت الكنيسة على النظام البازيليكي بمساحة إجمالية (٥٦٦,٨٤ م٢). تتألف من صحن رئيسي يبلغ طوله (١٦,٥٠م)، وعرضه (٧م)، يقع على جانبيه ست ركائز حجرية يبلغ طول الواحدة منها (١١٠سم)، وعرضها (٧٠سم)، تفصله عن الرواقين الجنوبي والشمالي، إرتكز عليها سقف جملوني لم يتبق منه شيء، فيما بلغ عرض الرواق الجنوبي (٣,٥م)، وعرض الرواق الشمالي (٢,٨٥م)، امتد إلى الشمال منه المجاز، يحده من الشمال مقطع صخري طبيعي، وجد به حوض من الناحية الشرقية مغطى بطبقة من القصارة الكلسية.

أما الحنية فهي ذات شكل نصف دائري، بعمق (٥,٥م)، وعرض (٦,٦٥م) يتقدمها هيكل مستطيل الشكل يرتفع بمقدار درجتين عن باقي أرضية الكنيسة، مستطيل الشكل، يقع أمامه مذبح أرتكز على ثلاثة أعمدة رخامية صغيرة.(الشيّاب ١٩٩٠: ٥) (Browning 1982: 193).

أقيمت غرفتان مربعتان على جانبي الحنية، اشتركت اليمنى مع كنيسة يوحنا المعمدان، حيث استخدمت للعماد، ينفذ إليها من خلال بوابة أغلقت لاحقاً بحجارة مشذبة، أما الغرفة الشمالية فيبدو أنّها استخدمت لتبديل الملابس، وحفظ مستلزمات الطقوس الدينية (هاردنج ١٩٧١: ١٢٢).

يفصل كنيسة كوزموس ودميانوس عن كنيسة يوحنا المعمدان جدار مبني من صفين من الحجارة، تم أجراء بعض التعديلات عليه لاحقاً، ربما بعد بناء كنيسة يوحنا المعمدان حيث فتحت به بوابتان، تم إغلاقهما لاحقاً.

تقع الواجهة الرئيسية للكنيسة في الناحية الغربية، بها ثلاثة أبواب تنفذ كل منها إلى: الصحن الرئيسي والرواقين الشمالي والجنوبي تباعاً، عرض الباب الرئيسي الأوسط (٢م)، أما الباب الجانبي الأيسر فعرضه (١,٢٥م)، في حين بلغ عرض الباب الجانبي الأيمن (١,٣٥م)، ويلاحظ أن الواجهة الغربية قد بنيت من حجارة كلسيه مشذبة، تم نقلها من معبد أرتيميس، وغطيت من الداخل بطبقة من القصارة الكلسية.

إلى الغرب من الواجهة الرئيسية يمتد الفناء المكشوف، وهو ردهة اشتركت بها كنائس المجمع الثلاث غطيت أرضيته بالفسيفساء لم يتبق منها إلا بضع خطوط وقد امتد به صف من الأعمدة الكورنثية، يعتقد انها كانت تشكل جزءاً من شارع فرعي من الديكومانوس الغربي.

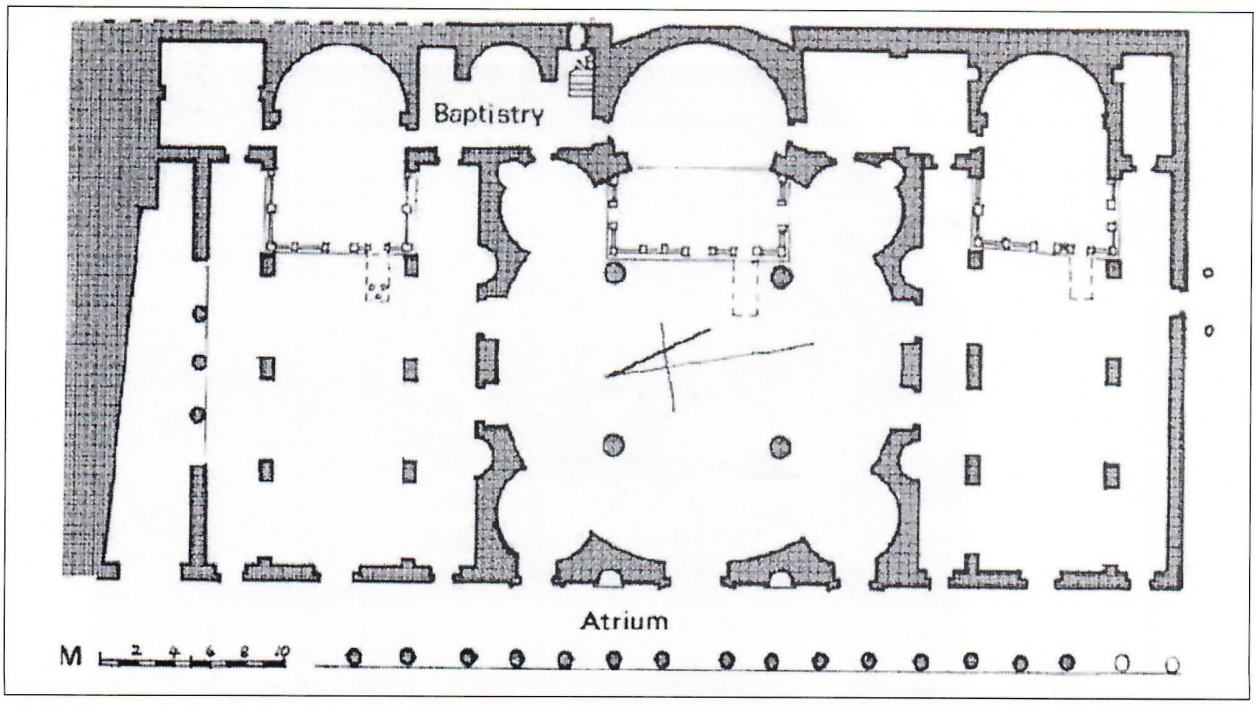

٢. مخطط مجمع كنائس يوحنا المعمدان (Browning 1982: Figure 120, page 194).

وصف الأرضيات

إمتازت فسيفساء الصحن الرئيسي بتنوعها وغناها بالزخارف، إذ حف بكتابة الإهداء تصوير المحسنين المتبرعين لبناء الكنيسة: ثيودور، الذي صور حاملا مبخرة، وزوجته جورجيا تمد يديها المبسوطتين علامة التبرع، وفي السطر الذي يليه رسم وسط معينين وعلى الجانبين محسنان اخران: يوحنا ابن استريكيوس وكالينيستوس (Krealing 1938: 331-332; Piccirillo 1993: 288-289).

إلى جانب الصور الآدمية، هنالك أشكال هندسية كالمعينات والمربعات المتتابعة صورت بها رسوم لحيوانات برية أو مدجنة والطيور وسلال ملئى بالفاكهة والورود، ومزهريات وزخارف هندسية في أشكال معقدة، وبين الركائز سجادات صغيرة ذات زخارف هندسية وأشكال لأسماك وطيور.

أما الرواقان الشمالي والجنوبي، فرصفا بفسيفساء ذات أشكال نباتية صغيرة على شكل ورود، في حين لم يتبق في المجاز الشمالي من الفسيفساء التي غطت أرضيته سوى بضع صفوف من الحجارة الفسيفسائية البيضاء والحمراء.

أعمال الصيانة و الترميم

منذ اكتشافها، تركت الكنيسة عرضة للعوامل الجوية، حيث إقتصرت الحماية على رفع جدران الكنيسة من الخارج بضعة مداميك، يعلوها سياج من الحديد، إضافة لتركيب بوابات من القضبان الحديدية لمنع مرور الزائرين على الأرضية، وأقيمت منصة من الناحية الشمالية لرؤية الأرضية.

لقد تبين لدى الكشف عن الرضية تعرضها لدرجة عالية من التدهور كان من أسببها: تركها لعدة قرون دون حماية، تعدد أعمال التدخل التي حصلت لها، إضافة لعدم إجراء دراسات تحاليل ومقارنات لمعرفة الأسباب المؤدية لتدهورها لاختيار السبل الأفضل لحمايتها.

تاريخ أعمال الترميم السابقة

خلال الأربيعينيات من القرن الماضي، أجريت أولى التدخلات على أرضية الصحن الرئيسي والرواق الشمالي للكنيسة، حيث تم إقتلاعها، وأعيد رصفها فوق طبقة من الإسمنت الأسود، بقيت آثاره واضحة على الأرضية، وثق هذا التدخل بكتابة نفذت بالحجارة الفسيفسائية أرخت للعام (١٩٣٨م).

كما تمت معالجة الفجوات بالإسمنت المسلح، والملون خلال السبعينيات من القرن الماضي.

حالة الأرضية الفسيفسائية

في نيسان عام (٢٠٠٥)، وضمن مشروع صيانة وتوثيق الأرضيات الفسيفسائية لمحافظة جرش، تم تقييم حالة الأرضية الفسيفسائية بهدف صيانتها، حيث تبين وجود المشاكل التالية:

- فجوات وفقدان أجزاء من الأرضية استخدم لمعالجتها وسائل مختلفة مثل: الملاط والإسمنت وغيرها.
- ترميمات سابقة: إعادة رصف الأرضية على طبقة من الإسمنت، استكمال الأشكال بالحجارة الفسيفسائية.
- انتفاخ وهبوط؛
- فقدان حجارة فسيفسائية.
- نمو كثيف للحشائش والأعشاب والطحالب والأشنات على الجدران وبين حجارة الأرضية.
- فقدان ملاط الحواف.
- تشكل قشرة صلبة سطحية.
- وجود اسمنت على السطح الأرضية وبين حجارتها؛
- حصول تقشر وتاكل للحجارة خاصة الألوان: الأسود والأحمر والأبيض.

في ايار ٢٠٠٥، قامت مدرسة مادبا للفسيفساء وبالتعاون مع مشروع إعمار جرش، ومعهد الملكة رانيا للسياحة والتراث الجامعة الهاشمية بمشروع مشترك لصيانة الأرضية الفسيفسائية، تضمنت ست مراحل: التوثيق والتنظيف السطحي وصيانة وترميم الأرضية الفسيفسائية ومعالجة الطحالب والأشنات ومعالجة الفجوات وتغطية الفسيفساء بغطاء حامي، انجز منها حتى تاريخه أربعة مراحل فقط. حالة حفظ الفسيفساء، والظروف المحيطة المرتبطة بمكانها تشكلان في الواقع العاملين المؤثرين لمختلف أنواع الحماية المزمع القيام بها.

المرحلة الأولى: أعمال التوثيق

هدفت المرحلة تسجيل واقع حال الأرضية الفسيفسائية قبل إجراء اية أعمال تدخل (**الشكل ٣**)، وشملت:

- جمع كافة المعلومات المتوفرة في المصادر والمراجع حول الموقع.
- توثيق الموقع بالتصوير.
- أخذ قياسات دقيقة للموقع بهدف إعداد مخطط جديد.
- عمل مخطط أولي للمشاكل الموجودة في الأرضية الفسيفسائية.

المرحلة الثانية: اعمال التنظيف

نظراً لتعرض الأرضية للعوامل الجوية بصورة مباشرة، تم:

- إزالة التراكمات من التربة والغبار والرمل بواسطة الفراشي الناعمة عن كل من الأرضية والجدران (**الشكل ٤**).
- إجراء التنظيف الميكانيكي باستخدام المشرط.
- إزالة الأعشاب وجذور النباتات النامية على الجدران وبين الأرضية.
- إزالة ما سماكته (٣٠سم) من التربة المتراكمة في المجاز الشمالي لكشف ما تبقى من الأرضية الفسيفسائية ودراسة حالتها لإجراء ما يلزم لصيانتها.
- إزالة الملاط والإسمنت عن سطح الأرضية.

٣. بعض الأساليب التي استخدمت في توثيق انتشار الطحالب والأشنات على سطح الأرضية الفسيفسائية.

٤. تهيئة الأرضية الفسيفسائية وتنظيفها ميكانيكياً.

المرحلة الثالثة: صيانة وترميم الأرضية

هدفت هذه المرحلة تقوية الأرضية الفسيفسائية، وحمايتها لوقف فقدان المزيد من الحجارة الفسيفسائية منها (**الشكل ٥**)، حيث تم:

- تثبيت الحجارة الفسيفسائية المتخلخلة والمتناثرة باستخدام ملاط مكون من الجير المطفأ وبودرة رخام وبودرة حجر بنسب (١:١:١).
- عمل ملاط حواف لتقوية وتدعيم أطراف الأرضية ومواضع الفجوات الكبيرة لمنع استمرارية توسعها.
- معالجة الفجوات الصغيرة وملئها بملاط بسمك (٢ ملم)، تألف من جير لافارج ورمل وبودرة حجر بنسب (١:١:١).
- تدعيم طبقات الدعامة أسفل الأرضية في الممر الجنوبي بحقنه بملاط بسمك تراوح ما بين (٣-٤ ملم) إلى (٢٥ ملم) في بعض المواقع مكون من جير ورمل وبودرة رخام بنسب (١:١:١).

المرحلة الرابعة: معالجة الطحالب والأشنات

بهدف اختيار الطريقة المناسبة لمعالجة الفسيفساء، كان لا بد من دراسة عدد من العوامل المهمة التي يجب التنبه إليها مثل نوع المادة الصخرية المصنوعة منها المكعبات الفسفسائية، مساميه هذه المادة، درجة صلابتها، طبيعة سطحها كأن يكون مدقوقاً أو ملمعاً، طريقة رصف الفسيفساء، نوع المادة المثبتة لها وخواصها الكيميائية والفيزيائية، الظروف البيئية المحيطة بالفسيفساء واخيراً طريقة الصيانة ما بعد إجراء عملية التنظيف.

الدراسة البتروغرافية للعينات الفسيفسائية

من الخطوات المهمة في عملية إزالة الطحالب والأشنات عن الأرضية الفسيفسائية هي دراسة الخصائص الجيوفيزيائية والجيوكيميائية للعينات الفسيفسائية والتي شملت جميع انواع الصخور المستخدمة في رصف الأرضية والمادة المثبتة لها.

ولهذا الغرض تم عمل (١١) شريحة (**الشكل ٦**)، لدراستها مجهرياً في مختبرات الجامعة الهاشمية باستخدم ميكروسكوب إلكتروني مستقطب من نوع [Leica DM3000] مزود بكاميرا ديجيتال من نوع [Leica DC 300] تم دراسة العينات واخذ عدة صور مجهرية للعينات بمقياس تكبير مختلفة وعن طريق نظام (PPL)(XPL)، وذلك لتحديد الخصائص الضوئية للمعادن المكونة للصخور التي منها المكعبات الفسيفسائية.

تم تحديد المعادن المكونة لصخور العينات الفسيفسائية، ونسبة

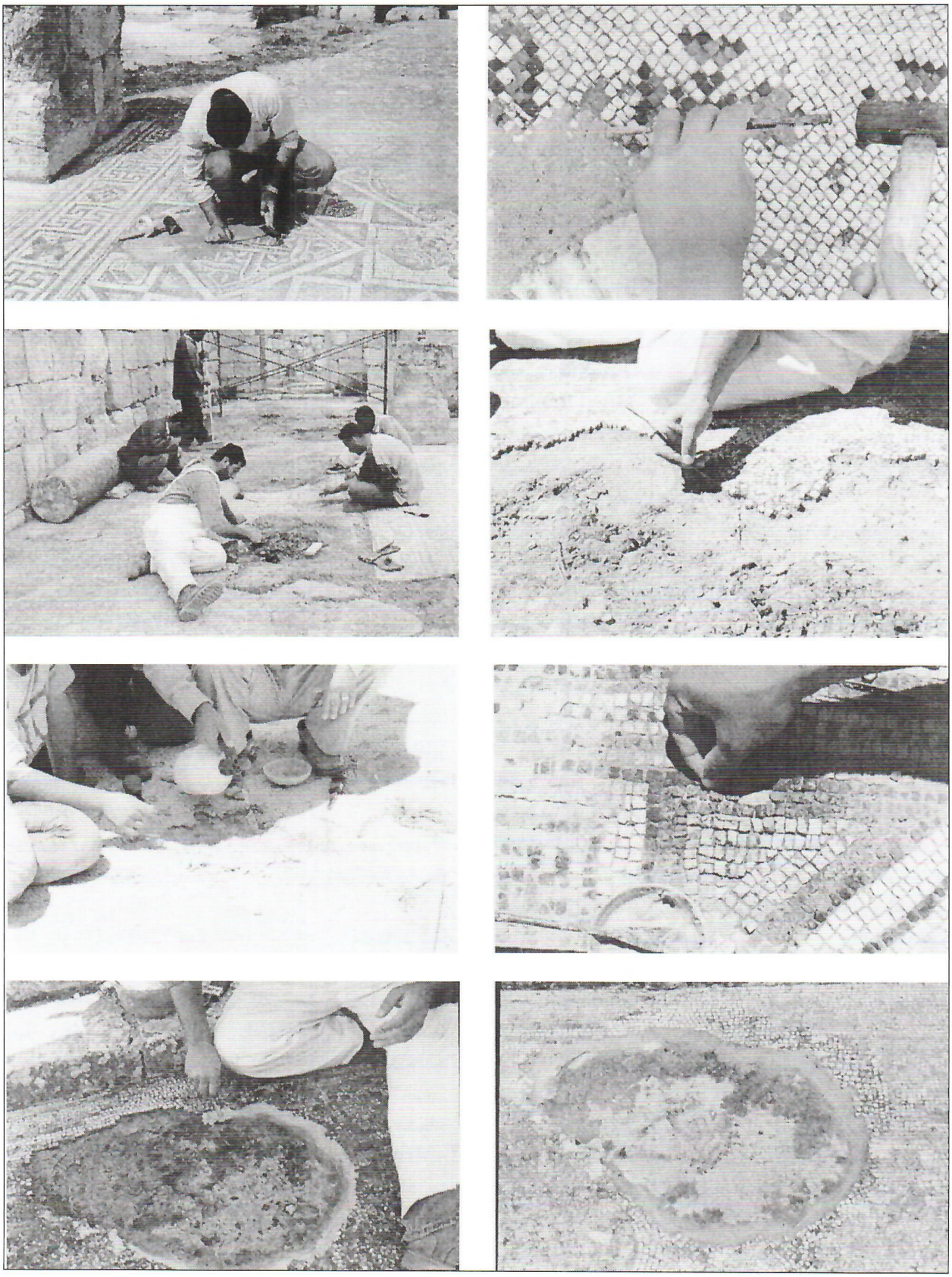

٥. مراحل صيانة وترميم الأرضية الفسيفسائية.

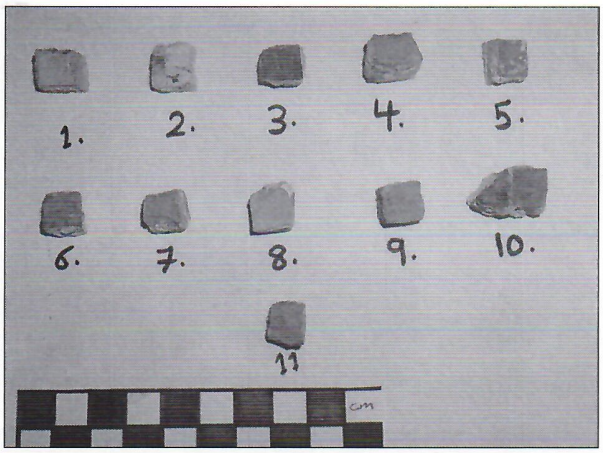

٦. عينات من المكعبات الفسيفسائية التي تمت عليها الدراسة البتروغرافية.

كل معدن (Qualitative) في كل عينة، وثم دراسة التركيب النسيجي لصخور العينات بهدف تحديد نوع الصخر المكون لكل عينة فسيفسائية. ويمكن تلخيص أهم النتائج لهذه التحاليل على النحو التالي (**الشكل ٧أ، ب**).

العينة رقم (١): تحتوي على مستحثات صغيرة الحجم من نوع نيمولايت (Numolite) وهذا النوع متواجد بشكل كثير ومميز في الطبقات العلوية من التراكيب الجيرية المتواجدة في منطقة جرش.

العينة رقم (٢): تتكون من معدن الكالسيت والدولومايت شبه المتبلورة وتظهر فيها معادن الحديد المتاكسد غير الشفاف (Opaque Minerals).

العينة رقم (٣): تتكون من معدن (Jasper) وهو من عائلة السليكا الصلبة ويوجد بالعادة في بطون الوديان في منطقة جرش، وتظهر في العينة بعض المعادن الحديدية المتأكسدة غير الشفافة (Opaque Minerals).

العينة رقم (٤): تتكون من صخر رسوبي غضاري دقيق الحبيبات ذي محتوى كلسي متواجد بكثرة في المنطقة على شكل عروق صخرية.

العينة رقم (٥) (**الشكل ٧ب**): تتكون من معدن الكالسايت شبة المتبلور (Cryptocrystalline) على شكل مايكروسبارايت (Microsparite) الذي يكون أكثر من ٦٠٪ من حجم العينة. ويظهر في عدة مناطق من العينة معدن الحديد المتأكسد (Hematite) على شكل معدن غير شفاف (Opaque). كما اظهرت العينة رقم (٦) تشكيل واضح لمعدن الكالسيت ومعدن الترمولايت (Trimolite) وبعض المعادن غير الشفافة (Opaque Minerals) ربما الماغنيتايت (Magnetite). وظهر في العينة رقم (٧) مادة مصهورة محاطة بحبيبات من الكوارتز، ربما هي صخر رملي دقيق الحبيبات متعرض لعملية صهر مما أعطى لها لونها الرمادي.

العينة رقم (٨): بها صفات صخر الجير الدولوماتي، ويظهر التداخل في بلورات الكالاسيت والدولومايت وتظهر عروق من السيليكا ومعدن الحديد المتأكسد (Hematite) مما منح اللون الزهري للعينة. كما ان العينة رقم (٩) تتكون من صخر كلسي طباشيري (Chalky Limestone)، المحتوي على كثير من مستحثات الفورامانيفرا (Foraminifera)، وهذا النوع من الصخر ايضاً موجود ضمن الطبقات الجيولوجية المكتشفة في منطقة جرش.

العينة رقم (١٠): تتكون من صخر رسوبي تظهر فيه نسبة من المايكا والحديد المتأكسد (Hematite). تبين الخواص المعدنية والتركيبية لهذه العينة خصائص صخر الغضار (Shale) وهو متواجد على شكل عروق في الطبقات السفلى من التكوين الجيري لمنطقة جرش. أظهرت العينة رقم (١١) تركيباً جيرياً، اغلبه من الكالسايت محاطة بمحتوى طيني يحتوي على ليمونايت (Limonite) وبعض المعادن غير الشفافة (Obique)، ويظهر في العينة نمو واضح للجذور الدقيقة للأشنة على سطح مكعب الفسيفساء، كما وتظهر تداخلات من طبقات رقيقة من صخر (Wakestone) الذي يعطي اللون الاصفر للعينة.

كما شملت الدراسة جمع العينات النباتية لتحديد نوعها وخصائصها لمعرفة طريقة معالجتها. و قد اخذ أكثر من ٢١ عينة للطحالب والأشنة الموجودة على الأرضية الفسيفسائية (**الشكل ٨**)، حسب عدة عوامل بعضها يتعلق بنوع وشكل وطبيعة ودرجة نمو النباتات وبعضها يتعلق بالمكان والظروف التي تعيش فيها هذه النباتات. حيث تبين أن معظم هذه العينات كانت لطحالب من نوع شلوروبهيتا (الطحالب الخضراء).

ولإزالة هذه الطحالب والأشنة بطريقة غير ضارة بالأرضية الفسيفسائية، ودون ترك آثار سلبية، قام الفريق بتطوير طريقة تستخدم للمرة الأولى في معالجة الأرضيات الفسيفسائية في الاردن، وتعتمد على استخدام محلول كيميائي مخفف: محلول الامونيا بنسبه (١:٤). تمت تجربته على المواد الحجرية، وعلى الملاط المستخدم في تثبيت المكعبات الفسيفسائية، وعلى عينات من النباتات في المختبر، حيث أثبتت قدرتها على وقف نمو وقتل الطحالب والأشنة. ولقد أثبتت التجارب المخبرية أيضاً عدم وجود أي نتائج سلبية لعملية التنظيف هذه (**الشكل ٩**). وقد درست طريقة نمو هذه النباتات الدقيقة في المختبر، حيث اتضح إن تكاثرها يكون عن طريق النمو الذاتي للنباتات، وهو الزيادة في الحجم والزيادة في المساحة التي تعيش عليها.

تستمد النباتات الرطوبة اللازمة لعمليات النمو والتكاثر من تكثف البخار الموجود في الهواء والملامس لسطح الأرضية الفسيفسائية وتحويله إلى الحالة السائلة، وهذه الظاهرة تلاحظ على سطح الاشياء المعرضة للهواء كالفسيفساء، لأن كثيراً من المواد الصخرية المصنوعة منها المكعبات الفسيفسائية لها حرارة نوعية اقل من حرارة الهواء المحيط بها. يتبين لنا هذا الفارق الحراري حين

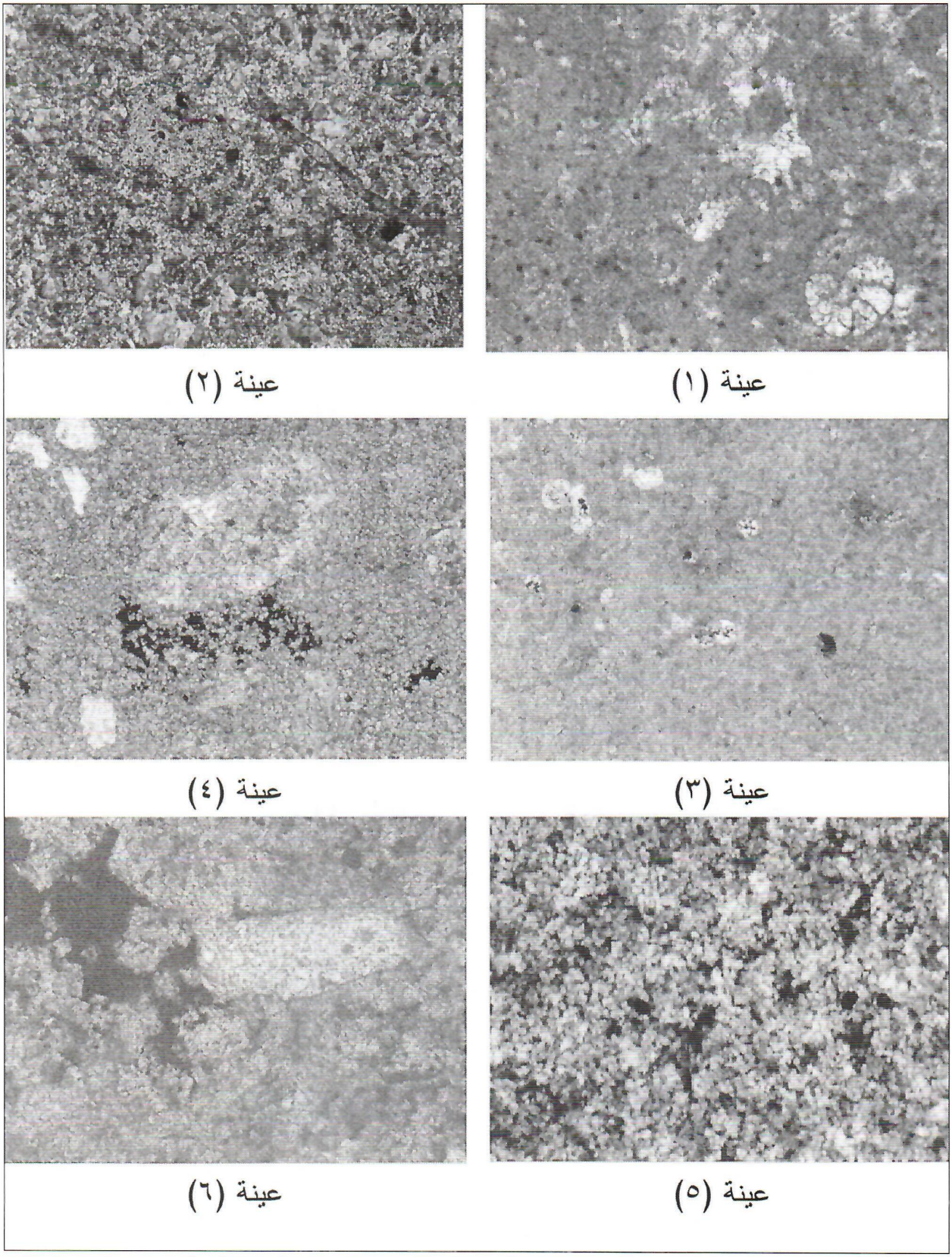

أ٧. عينات مختلفة (All photos were taken under (XPL) Magnification x5).

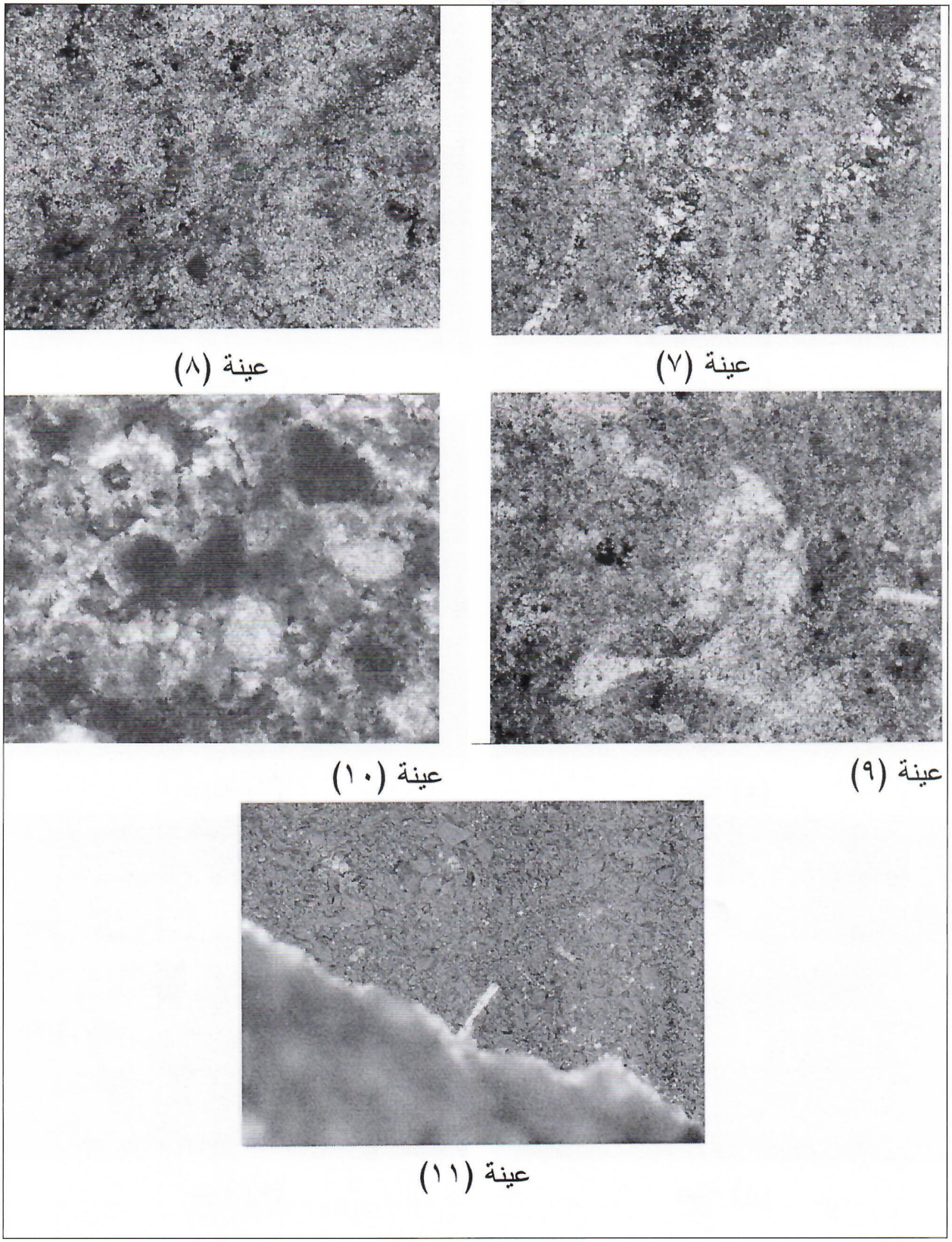

٧ب. عينات فسيفسائية مختلفة (All photos were taken under (XPL) Magnification x5).

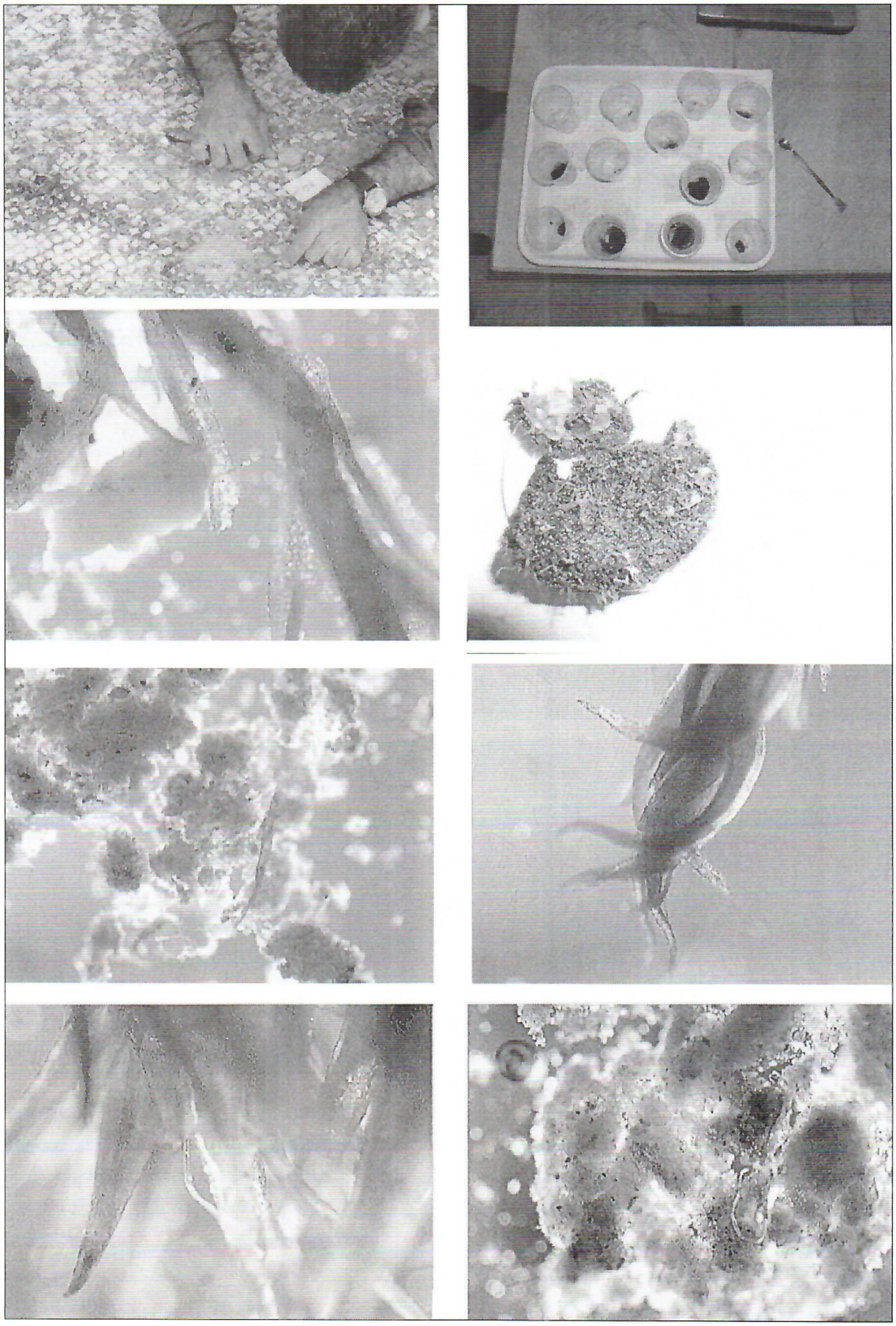

٨. الخطوات التي اتبعت في دراسة الطحالب والأشنات، وتظهر بعض تأثيرات جذورها على المكعبات الفسيفسائية.

٩. مراحل التنظيف التي طبقت على الأرضية الفسيفسائية.

نلمس الأرضية الفسيفسائية ونشعر انها باردة خاصة في ساعات الصباح من أيام الصيف، كما وتحصل هذه الطحالب والأشنات على الرطوبة الناتجة من المياه الجوفية ومياه الأمطار.

بناءاً عليه، تم معالجة الطحالب في الموقع على النحو التالي:

- تنظيف السطح بغسله بالماء المقطر.
- إزالة الطحالب النامية باستخدام المشارط والفراشي الناعمة.
- غسل سطح الفسيفساء باستخدام محلول الأمونيا (تركيز ٢٥٪) والفراشي الناعمة.
- غسل سطح الأرضية الفسيفسائية باستخدام الماء المقطر عشر مرات متوالية لإزالة آثار الأمونيا.
- تجفيف سطح الفسيفساء جيداً باستخدام الإسفنج.

بهذه الخطوة كانت الدراسة قد أنجزت المراحل الأساسية، ولتحقيق استمرارية المحافظة على الأرضية، لا بد من إنجاز خطوات لاحقة ونقترح منها.

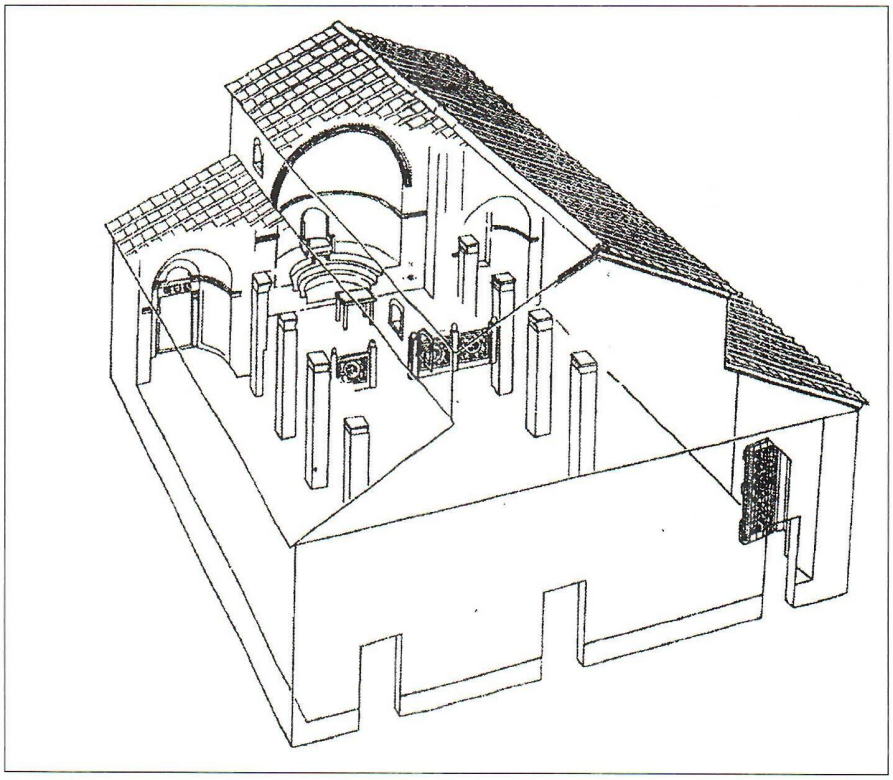

١٠. التصميم المقترح لغطاء كنيسة كوزموس ودميانوس بناء على العناصر والخصائص المعمارية.

بعد إتمام المراحل الأربع التي سبق ذكرها، نقترح مرحلة خامسة تتضمن بقاء الفسيفساء في موضعها الأصلي وفي مكان معرض للتغيرات المناخية سيؤدي بلا شك إلى سرعة ظهور عوامل التلف، لذلك تم اقتراح عمل غطاء حامي أو سقف خشبي مفتوح من الجوانب (**الشكل ١٠**).

ونقترح أن يكون هذا السقف من مواد تقليدية مثل الخشب أو القرميد، والألواح والأنابيب المعدنية غير القابلة للتأكسد والصدأ.

يبقى السقف الأسلوب الأكثر شيوعاً وغالباً ما ينفذ عن طريق وضع الألواح الخشبية أو قرميد على قوائم ينحصر دورها في حماية الفسيفساء من الأمطار وأشعة الشمس، ويعمل هذا السقف على منع مياه الأمطار من الوصول إلى الأرضيات ويمنع بذلك نمو الطحالب والاشنات، ويعتبر هذا الحل من الحلول الوقائية غير الدائمة.

أظهرت الدراسة أن الأماكن التي فيها أشعة الشمس محجوبة أو مغطاه وتحتوي على درجة رطوبة أكثر هي الأماكن التي تظهر فيها الطحالب والاشنات بكميات أكثر وتظهر درجة نمو أكبر. وعلى الأغلب يزداد نمو هذه النباتات على الأجزاء التي تظهر فيها عوامل التلف وتاكل الأرضيات الفسيفسائية، وفي الأجزاء التي توجد فيها مواد مترسبة بين المكعبات. كما أظهرت الدراسة وجود علاقة واضحة ما بين العوامل المناخية مثل الحرارة (اشعة الشمس) والرطوبة وماء المطر ونمو هذه الطحالب والأشنات، وأهمية العلاقة ما بين عمليات الصيانة والترميم والتقليل من المضار البيولوجية على الأرضيات الفسيفسائية.

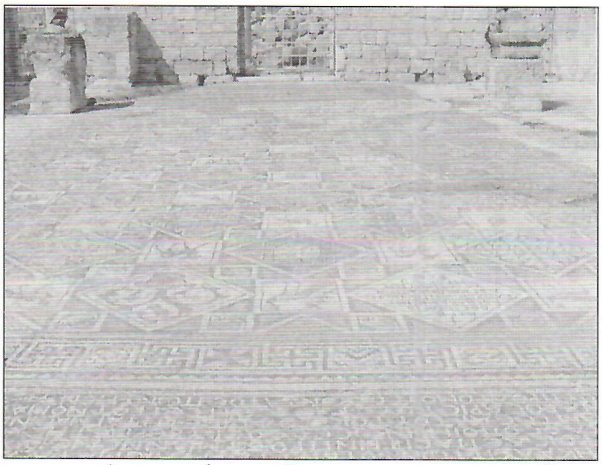

١١. الأرضية الفسيفسائية بعد خمسة وأربعين يوماً من إجراء أعمال الصيانة والترميم.

كما تبين إن أفضل أنواع الملاط المستخدم في الحفاظ على حواف الفسيفساء والفجوات هو الملاط الجيري، حيث أنه يقلل من إعادة تكوين المظاهر البيولوجية.

طريقة تنظيف الأرضيات الفسيفسائية باستخدام محلول مخفف من الأمونيا أثبت فعاليته في موقع جرش الأثري وذلك دون احداث أي ضرر للبقايا الأثرية (**الشكل ١١**).

بعد إجراء أعمال التنظيف يبقى وضع غطاء لهذه الأرضيات من أهم الخطوات اللاحقة المفضل اجرائها.

بلال خريسات
الجامعة الهاشمية
معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث

كاترينا الحمارنة
عبد المجيد مجلي
دائرة الآثار العامة

المراجع

هاردنج، لانكستر
١٩٧١ **آثار الأردن**. تعريب سليمان موسى، المطبعة الوطنية، منشورات وزارة السياحة و الآثار: عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.

الشيّاب، عدنان محمد
١٩٩٥ **التطور المعماري لكنائس مدينة جرش خلال العصر البيزنطي**. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد، المملكة الأردنية الهاشمية.

Browning, I.
1982 *Jerash and the Decapolis*. Chatto & Windus: London.

Crowfoot, J.W.
1930 *Churches at Jerash*. William Clowes & Sons: London.

Piccirillo, M.
1993 *The Mosaics of Jordan*. ACOR: Amman, Jordan.

Krealing, C.
1938 *Gerasa, City of the Decapolis*. New Haven: American Schools of Oriental Research.

Villa, A.
1977 *The Removal of Weeds from Outdoor Mosaic Surfaces*. ICCROM, Mosaic, No. 1: Rome.

المغطس

رستم مكجيان

في هذه البقعة يتشابك الماضي والحاضر والمستقبل، يلتقي الله والإنسان في مسيرة الخلاص، ويلتقي العهدان: القديم والجديد في خط خلاصي موصول، ليصبح الزمن كله حقيقة واحدة غير متجزئة حقيقة روحية وإيمانية تزداد رسوخا في قلوب المؤمنين كلما مر الزمن.

منطقة المغطس بقعة مقدسة تقع إلى الغرب من الرامة والكفرين في لواء الشونة الجنوبية، على الضفة الشرقية من نهر الأردن حوالي ٩كم شمال البحر الميت، ويمكن منها مشاهدة مدينة أريحا التي تقع على مسافة عدة كيلومترات إلى الغرب من النهر.

بدأ الكادر الوطني التابع لدائرة الآثار العامة قبل عدة سنوات أعمال الحفريات في الموقع حيث تم اكتشاف دير وعدة كنائس واستراحة للحجاج وبركة كبيرة وكهوف الرهبان، بالإضافة إلى موقع مرتبط بمريم المصرية. وبدأت أعمال الصيانة والترميم في الموقع وما زالت مستمرة وذلك لخصوصية الموقع وبعض العوامل الطبيعية والبيئية المؤثرة عليه.

برزت أهمية الموقع الحضاري والتاريخي والديني والبيئي من خلال الدلائل التي تثبت أن العديد من الأنبياء عليهم السلام أتوا إلى الموقع أو عاشوا فيه لفترة من الزمن وتعمّد فيه السيد المسيح عليه السلام، وتم ذلك اعتمادا على ما ورد بالكتب المقدّسة، وأقوال الرحّالة والحجاج والمكتشفات الأثرية التي تطابق بشكل كبير بما وصل إلينا من ترجمات لأقوال بعض الرحّالة والحجاج الذين زاروا الأراضي المقدّسة من أنحاء مختلفة من العالم ووصفوا ما شاهدوه خلال فترة زيارتهم للموقع، بالإضافة إلى خريطة الأرض المقدسة الموجودة في كنيسة الروم الأرثوذكس في مادبا.

فحسب الكتب المقدسة، بعد موت موسى ومن هذه البقعة، عبر يشوع بن نون بالشعب إلى أريحا، فجاء إيليا النبي من أريحا ووصل إلى النهر فضربه بردائه فانفصلت المياه وعبر على اليابسة هو واليشع الذي خلفه حاملا روحه ورسالته وفيما هما يتحدثان إذا بعربة نارية جاءت فصعد فيها إيليا إلى السماء.

ومرت السنون وظهر يوحنا المعمدان في هذه البقعة فاستلم شعلة الإيمان والرسالة، وأخذ يعمد في نهر الأردن وفي الينابيع المجاورة وكان عماده رمزا للتوبة والعودة إلى الله، وجعل من بيت عنيا عبر الأردن مقرا رئيسيا لكرازته وكان ينام ويرتاح في مغارة بالقرب من عيون وادي الخرار ومن مغارة إيليا النبي.

ويذكر الإنجيل المقدس أن السيد المسيح وصل إلى بيت عنيا عبر الأردن وتوجه إلى يوحنا ليعتمد منه واصطف في موكب الخطاة التائبين. وقد عرفه يوحنا بوحي والهام من الروح القدس واخذ يمانع قائلا أنا الذي احتاج أن تعمدني ولكن يوحنا أمام إصرار يسوع نزل عند رغبته وعمده في نهر الاردن فتقدست مياهه.

وفي هذه الأرض الأردنية اصطفى الله مواقع خاصة، فشمال البلاد تتيه فخرا بموطن النبي إيليا ابن لستب، وشمالها ووسطها يفتخران بكون المسيح أجرى فيهما العجائب وبشر في مدنهما التي كانت تابعة لتنظيم المدن العشر. وجنوب البلاد تتيه فخرا بكون يوحنا المعمدان استشهد في قلعة مكاور الواقعة إلى الجنوب من مادبا. وفي مجرى نهر الأردن، في هذه البقعة اعتمد على يد يوحنا المعمدان وانضم إليه خمسة من تلاميذه منهم بطرس، ومن هذه البقعة انطلق يبشر بملكوت الله، وبدء حياته العلنية.

يتوسط بيت عنيا عبر الأردن طريق الحج المسيحي بين القدس وبيت لحم إلى الغرب وجبل نيبو إلى الشرق، فقد ترك لنا الحجاج والمؤرخون معلومات قيمة عبر العصور فيمكننا رؤية مدى تطابق ما ورد من قبلهم مع ما جاء في الكتب المقدسة وبما تم اكتشافه في الموقع مؤخرا، بالإضافة إلى ما هو موجود على خريطة الفسيفساء في مادبا. فقد كتب بعض الحجاج ذكريات حجهم وحفظ التاريخ بعضها، فالحاج القادم من مدينة بوردو سنة (٣٣٣م) والذي لم يذكر اسمه والحاج تيوديسيوس (٥٣٠م) وغيرهما أوضحوا موقع عماد الرب وقالوا انه يبعد خمسة أميال من البحر الميت وذكروا أيضا التل الصغير الواقع إلى الشرق من النهر قرب مكان عماد المسيح ومكان صعود النبي ايليا إلى السماء.

وأما الحاج أنطونينوس من بياشنسا (٥٧٠م) فقد أضاف معلومة أخرى وهي أن موقع العماد كان مقابل دير القديس يوحنا وأضاف أن هناك درج من المرمر يؤدي إلى حافة النهر حيث تعمد السيد المسيح عليه السلام (هناك وصف دقيق لأقوال الرحالة والحجاج في الفقرة بعنوان موقع عماد السيد المسيح عليه السلام).

وأهم خلاصة يمكن استنتاجها من شهادات الحجاج وكتاباتهم

هي التمييز بين الأحداث المختلفة التي تم إحياؤها على ضفاف النهر وتلك التي تم إحياؤها في منطقة عين الخرار. فعلى ضفاف النهر كانت تقام ذكرى عماد المسيح فبقايا الكنائس الخمس المبنية لذكرى تعميد السيد المسيح عليه السلام تشهد لهذا الحدث العظيم. وبقرب نبع وادي الخرار مغارة يوحنا المعمدان وبنيت الكنيسة والدير إحياء لذكرى بيت عنيا عبر الأردن حيث عمد يوحنا المعمدان وحيث ذهب يسوع للقائه. فهنا عاش الرهبان حياة البر والتقوى، زاهدين في الدنيا، مسبحين الله وممجدينه.

كما أن وجود خريطة الأرض المقدسة في كنيسة الروم الأرثوذكس في مادبا والممثل عليها موقع المغطس باسم عينون وصفصافص الموجود شمال البحر الميت وعلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وفي الجهة الغربية المقابلة للموقع توجد مدينة أريحا يتطابق مع ما ورد بالكتب المقدسة وأقوال الحجاج والمؤرخين والمكتشفات الأثرية في الموقع ويسمح لنا بأن نكون صورة شاملة عن أهمية الموقع والاحداث التي حصلت فيه.

أما بالنسبة لبعض الرموز الممثلة في خريطة الأرض المقدسة (**الشكل ١**)، ففي النهر توجد سمكتان تتقابلان بالضبط عند الموقع، والتفسير المنطقي هو أن السمك لا يعيش في البحر الميت لذا يعود باتجاه الشمال في نهر الأردن، ولكن من المهم أن نعرف بأن السمك كان رمزا للسيد المسيح عليه السلام ورمزا للعماد، فوجود السمكتين في هذه النقطة من النهر بالذات يدل على أن السيد المسيح تعمد عند هذه النقطة من نهر الأردن. أما بالنسبة للأسد الذي يلاحق الغزال فلا يرمز فقط للحياة البرية (برية يوحنا المعمدان) في الموقع، بل يمكن تفسيرها «بالقوي» يلاحق «الضعيف» أو بتحليل آخر «هيرودس» يلاحق «يوحنا المعمدان» الذي قال له أنه ليس حلالا أن يتزوج زوجة أخيه، فألقى القبض عليه وأودعه السجن وبعد ذلك أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان (متى ١٤).

المكتشفات الأثرية

تل مار إلياس (الشكل ٢)

وادي الخرار هو الاسم الحديث لموقع (صفصافص) الممثل على الخريطة الفسيفسائية للأرض المقدسة في مدينة مادبا، والتي تعود

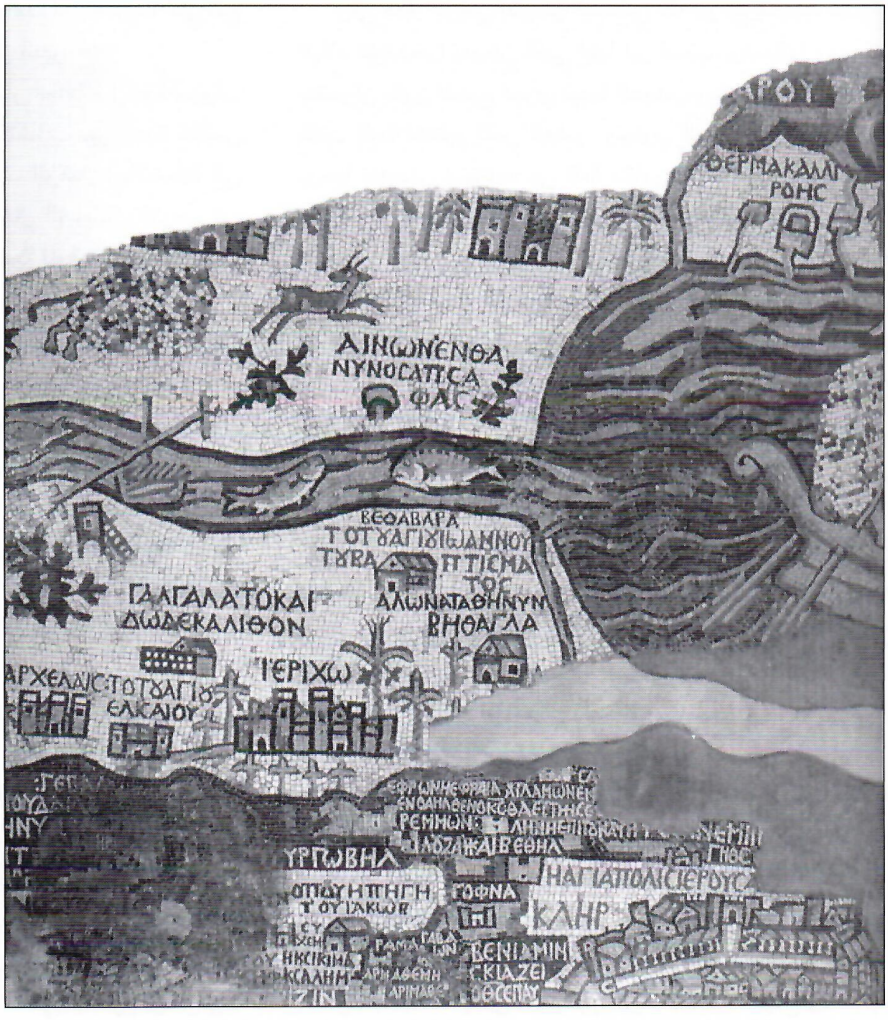

١. جزء من خارطة الأرض المقدسة.

إلى القرن السادس الميلادي يقع الموقع شرق نهر الأردن غرب قرية الكفرين مقابل مدينة أريحا (ويبعد حوالي ٩ م شمال البحر الميت). ينبع وادي الخرار من شرق التل المعروف باسم تل مار إلياس، والذي صعد منه النبي إلياس (عليه السلام) إلى السماء بعربة نارية تجرها الخيل. وقد أقام البيزنطيون ديرا على هذا التل عرف باسم دير روتوريوس زاره العديد من الرحالة والحجاج، ووصفوه بدقة فمنهم الرحالة من مدينة بوردو/فرنسا زار الموقع سنة ٣٣٣م وقال «يقع الموقع الذي تعمد فيه السيد المسيح عليه السلام على بعد خمسة أميال شمال البحر الميت وبالقرب من هذا الموقع يقع التل الذي صعد منه النبي إلياس عليه السلام إلى السماء». أما الرحالة ثيودوسيوس الذي زار الموقع سنة ٥٣٠م قال «في المكان الذي تعمد فيه السيد المسيح عليه السلام، وفي الطرف البعيد من نهر الأردن هناك تل صغير يدعى حرمون حيث صعد منه النبي إلياس عليه السلام إلى السماء، ويبعد مكان عماد السيد المسيح عليه السلام مسافة خمسة أميال شمال البحر الميت». وكذلك الحاج أنطونينوس من مدينة بياشنزا زار الموقع سنة ٥٧٠م وقال «هذا هو المكان الذي صعد منه النبي إلياس عليه السلام إلى السماء، وفي نفس المكان يوجد تل صغير يدعى حرمون» (الذي ذكر في المزامير ١٣٣:٣). أما الكاهن الحاج الروسي دانيال والذي زار الموقع سنة ١١٠٦-١١٠٧م، فقد أعجب به وقال «ليس بعيدا عن نهر الأردن مسافة رمي رمحين هو الموقع الذي صعد منه النبي إلياس (عليه السلام) إلى السماء بعربة نارية، وهنا أيضا يوجد كهف القديس يوحنا المعمدان، وهناك نبع قوي من المياه التي تتدفق فوق حجارة باتجاه نهر الأردن، مياه هذا النبع باردة وطيبة، وقد شرب منه يوحنا المعمدان عندما عاش في الكهف».

دير روتوريوس

يوجد في تل مار إلياس دير من الفترة البيزنطية (**الشكل ٢**) يعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين تم وصفه أو أجزاء منه من قبل بعض الرحالة أمثال جون موسكوس وويليبالد. هذا الدير محاط بجدار خارجي وله مدخل من الجهة الشمالية الغربية، يؤدي إلى سكن الرهبان، ويوجد فيه عدة كنائس، وهناك نظام مائي شامل لهذا الدير وهو الأول شرق نهر الأردن على طريق الحج المسيحي بين القدس وبيت لحم إلى الغرب وجبل نيبو إلى الشرق من الموقع. ومن أهم أجزائه الكنيسة الشمالية، الكنيسة الغربية، قاعة الصلاة، النظام المائي، البرك وكنيسة القوس. ومن المكتشفات الأخرى: صوامع وكهوف الرهبان، استراحة الحجاج، البركة الكبيرة، نبع يوحنا المعمدان وموقع مريم المصرية.

موقع عماد السيد المسيح عليه السلام

تخليدا للمكان الذي تعمد فيه السيد المسيح عليه السلام قام المسيحيون الأوائل ببناء عدد من الكنائس وصفت بدقة من قبل الرحالة والحجاج والمؤرخين عبر العصور (**الشكل ٣**)، ولتكوين صورة شاملة ودقيقة عن أهمية هذه الكنائس، قمنا بدراسة هذه الكنائس والمكتشفات ومقارنتها مع ما تم ذكره من قبل الحجاج والمؤرخين.

١- كنيسة يوحنا المعمدان: أقيمت على الجانب الشرقي من نهر الأردن كنيسة تذكارية في فترة الإمبراطور انستاسيوس (٤٩١-٥١٨م)، عرفت هذه الكنيسة باسم كنيسة يوحنا المعمدان تخليدا لذكرى تعميد السيد المسيح عليه السلام في هذا الموقع. زار هذا الموقع الرحالة ثيودوسيوس سنة ٥٣٠م وقال: "يقع موقع عماد السيد المسيح عليه السلام على بعد ٥ أميال شمال البحر الميت عبر الأردن، وفي هذه البقعة يوجد عمود من الرخام عليه صليب. وهناك أيضا كنيسة يوحنا المعمدان بناها الإمبراطور انستاسيوس، وهي مرتفعة لأنها مبنية على عقود وأقواس لحمايتها من فيضانات النهر (**الشكل ٤، ٥**). وبالقرب من موقع عماد السيد المسيح عليه السلام عبر النهر يوجد تل صغير صعد منه النبي الياس عليه السلام إلى السماء». فعلى بعد حوالي ٩ كيلومتر شمال البحر الميت شرق النهر كشفت الحفريات الأثرية في الموقع عن بقايا القواعد المبنية من الحجر الرملي تعود لنفس الفترة، أما بالنسبة للعمود الرخامي ففقد بسبب فيضان النهر.

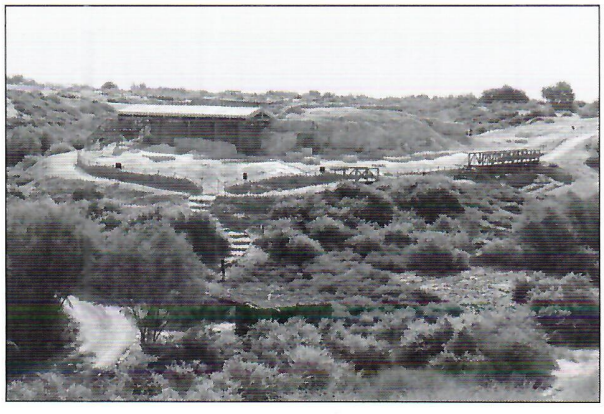

٢. تل مار الياس (دير روتوريوس) من الجهة الشمالية الغربية.

٣. منظر عام لموقع عماد السيد المسيح من الشرق.

٤. بقايا الأعمدة الحاملة لكنيسة يوحنا المعمدان من الشرق.

٢. الدرجات الرخامية: أما الرحالة أنطونينوس من بياشينزا / إيطاليا والذي زار موقع عماد السيد المسيح عليه السلام سنة ٥٧٠م فقال: «احتفلنا بيوم عيد الغطاس في موقع عماد السيد المسيح عليه السلام، في المكان الذي تعود فيه مياه نهر الأردن إلى ضفته، هناك صليب من الخشب في المياه وهناك درج من المرمر تهبط باتجاه النهر.... ومن هناك اتجهنا نحو مدينة أريحا».

فعند مقارنة ما تم اكتشافه بما وصفه الرحالة أنطونينوس، نرى تطابقها وبدرجة كبيرة جدا، فبقايا الدرج الرخامي تنزل نحو الشرق وتقترب مياه النهر نحو الدرجات من الجهة الجنوبية الغربية بالطريقة التي وصفها الرحالة قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة (**الشكل ٦، ٧**).

٣. كنيسة الرداء وحوض التعميد المميز: الرحالة أركولفوس

٥. بقايا الأعمدة الحاملة لكنيسة يوحنا المعمدان من الشمال الغربي.

٦. جزء من الدرجات الرخامية بعد طمرها بفيضان النهر سنة ٢٠٠٣.

٧. الدرجات الرخامية قبل طمرها بفيضان النهر.

الفرنسي زار الموقع سنة ٦٧٠م وترك لنا معلومات قيمة وقال: «توجد كنيسة صغيرة في حافة النهر مبنية في المكان الذي ترك فيه رداء السيد المسيح عليه السلام عندما تعمد، وهي مرتفعة على أربع عقود وأقواس فوق مياه النهر...».

إن أهمية هذا الوصف تكمن في الوصف الدقيق لكنيسة الرداء، فقد برزت في نهاية الدرج الرخامي القاعدتين الشماليتين لهذه الكنيسة (**الشكل ٨**) وتم الكشف في الحفريات التي جرت صيف سنة ٢٠٠٢م عن بقايا أساس القاعدتين الجنوبيتين والتي دمرت بشكل شبه كامل بفعل الفيضانات والزلازل، ومن الأهمية بمكان القول أن هذه القواعد الأربع بنيت بشكل متماثل حول الدرج الرخامي وفي نهايته وعلى الأجزاء السفلية من القاعدتين الشماليتين هناك أثر لآلاف الصلبان محفورة على القصارة الأصلية (يرتفع منسوب أرضية حوض التعميد حاليا مترين عن منسوب نهر الأردن). فلذا يمكننا القول بأن كنيسة الرداء بنيت فوق حوض تعميد فريد من نوعه، فهذا الحوض هو الوحيد المصلب الشكل بالعالم الذي تصله مياه نهر الأردن ليتم التعميد فيه.

٤. البازيليكا «السفلية»: أظهرت الحفريات والمجسات في الجهة الغربية من البازيليكا وفي منطقة الرواقين الشمالية والجنوبية منها بقايا أرضيات رخامية ذات أشكال هندسية وألوان مختلفة ومتميزة (**الشكل ٩**)، ومن الملفت للانتباه في هذه الأرضيات أنها تنحدر

٨. كنيسة الرداء والقاعدتين الشماليتين لحوض التعميد ويظهر المصلى فوق إحدى القواعد.

باتجاه الغرب وهذا من الأدلة بأن نهر الأردن كان بالغرب منها وكان السبب الرئيسي لدمارها بهذا الشكل، ويمكننا مشاهدة أجزاء من الجدار الجنوبي من البازيليكا «السفلية» من الناحية الغربية منها. بنيت البازيليكا «السفلية» مباشرة على الأرض الطبيعية المرتفعة قليلا عن ما حولها، وصممت بنمط يختلف هندسيا عن الكنيستين السابقتين (كنيسة يوحنا المعمدان وكنيسة الرداء) اللتان بنيتا على عقود وأقواس لحمايتهما من فيضان النهر.

٥. البازيليكا (كنيسة الثالوث المقدس): مع أنها بنيت على منسوب أعلى من البقايا التي حولها، إلا أن القليل من أجزائها بقيت محمية، طولها لا يقل عن ٢٧مترا أما عرضها فكان ١٥,٨ مترا. وبما أنها بنيت على أنقاض كنيسة يوحنا والبازيليكا «السفلية» فقد استخدمت هذه البقايا كأساس لها (**الشكل ١٠**). تكون البازيليكا من الرواق الأوسط وعرضه ٥,١٢ مترا (**الشكل ١١**)، والرواقين الشمالي والجنوبي بعرض ٣,٥ متر تقريبا يظهر فيهما بعض الأجزاء من الأرضية الفسيفسائية الأصلية. ومن أهم الظواهر المعمارية المتبقية أساس حاجز الهيكل، والهيكل المستطيل الشكل وطوله ٧,٦م ومن أهم البقايا الموجودة فيه أساس المذبح المربع الشكل وقطعة من أرضيته الفسيفسائية ذات الألوان المختلفة، ومن أهم الرسومات عليها صليب في الزاوية الشمالية الشرقية ومزهرية يظهر منها ثلاث

٩. الأرضية الرخامية للبازيليكا السفلية في الرواق الشمالي.

١٠. البازيليكا من الشرق مربوطة مع درج التعميد.

١١. منطقة حنية البازيليكا من الغرب.

أوراق نخل صغيرة (**الشكل ١٢**).

وما يميز هذه البازيليكا عن غيرها وجود قاعة شرق جدار الهيكل لها أرضية من المرمر المزخرف بأشكال هندسية فريدة ولهذه القاعة بوابة من الجهة الشرقية يربطها بالدرج المبني من المرمر تهبط باتجاه النهر.

كما نرى مدى تطابق ما تم الكشف والحديث عنه سابقا مع أقوال الرحالة إبيفانيوس الذي زار الموقع في النصف الثاني من القرن الثامن وقال: «عاش يوحنا المعمدان في مغارة بجانب نبع حوالي ميل واحد شرق النهر، وعلى ضفة النهر كنيسة يوحنا المعمدان وكنيسة الثالوث المقدس وهي كبيرة».

٦. المصلى: بعد دمار كنيسة الرداء، تم بناء مصلى صغير الحجم (٥ × ٣م) على أنقاض القاعدة الشمالية الغربية بمواد شبيهة بتلك المستخدمة لبناء الكنائس المذكورة سابقا، له حنية نصف دائرية صغيرة، وكباقي الكنائس في نفس الموقع بقي منه فقط أجزاء بسيطة من الحجر الرملي المستخدم في بنائه ولكنها كانت كافية لإعادة بنائها بالرسم فقط (**الشكل ١٣**). للمصلى بوابة بعرض ١,٦م من الجهة الشمالية يؤدي إلى الصحن حيث بقايا الأرضية الهشة، أما أرضية الحنية فتعلوا حوالي ١٥سم عن أرضية الصحن والأرضيتان مكسوتان بطبقة من خلطة شيدية ذات لون مائل إلى البياض.

١٢. بقايا الفسيفساء في حنية البازيليكا.

١٣. بقايا المصلى من الشمال.

أما رئيس دير من روسيا اسمه دانيال فقد وصف المصلى أثناء زيارته للموقع سنة ١١٠٦-١١٠٧م وقال: «على بعد مرمى حجر من النهر إلى الشرق يوجد مصلى صغير له حنية صغيرة بني في موقع عماد السيد المسيح عليه السلام». فتم ترميم هذا المصلى وبناء مضلة تمثل شكل المصلى لحماية بقاياه. وتخليدا للمكان الذي تعمد فيه السيد المسيح عليه السلام قام المسيحيون الأوائل ببناء كنيسة تلوى الأخرى بعد دمارها بسبب الزلازل وفيضانات نهر الأردن، تميزت هذه الكنائس بأنها صممت وبنيت بأشكال هندسية مميزة وبأنها أخفض كنائس على الأرض والأقرب إلى نهر الأردن شرقا، ووصفت بدقة من قبل الرحالة والحجاج والمؤرخين عبر العصور. فعند دراسة هذه الكنائس والمكتشفات ومقارنتها مع ما تم ذكره من قبل الحجاج والمؤرخين، وما ورد بالكتب المقدسة، وما هو موجود على خريطة الأرض المقدسة يمكننا تكوين صورة شاملة ودقيقة عن أهمية هذه الكنائس وسبب بنائها في هذه البقعة بالذات، متحدين ببنائها العوامل الطبيعية الصعبة لتبقى للعالم أجمع شاهدا ورمزا لانطلاق الدعوة المسيحية من هذه الأرض المباركة المقدسة (**الشكل ١٤**).

كلمة شكر

كل الشكر والعرفان إلى صاحب السمو الملكي سمو الأمير غازي بن محمد المعظم لدعمه ورعايته لموقع المغطس وتشجيعه للبحث العلمي. والشكر أيضا إلى عطوفة مدير عام الآثار د. فواز الخريشة لدعمه كافة الأمور العلمية والمحافضة على الآثار المكتشفة في الموقع، وعطوفة مدير هيئة موقع المغطس المهندس ضياء الدين المدني لدعمي في العمل الميداني وعملية التوثيق، ولا بد لي أن أشكر كافة أعضاء هيئة تحرير حولية دائرة الآثار العامة لتقديمهم العون والمساعدة.

رستم مكجيان
دائرة الآثار العامة

Biblography

Holy Bible

Mkhjian, R. and Kanellopoulos, C.
2003 John the Baptist Church Area: Architectural Evidence. *ADAJ* 47: 9-18.

Mkhjian, R.
2004 John the Baptist Church Area: New Evidence Regarding the Basilica and Four Piers. *ADAJ* 48: 239-241.
2005 Preliminary Report: Rhetorius Monastery / Bethany Beyond the Jordan. *ADAJ* 49: 403-410.

Koch, G.
1995 *Early Christian Art and Architecture.* Translated by J. Bowden.

Arculfus
1895 The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land. *Palestine Pilgrims Text Society* III. New York: AMS, 1971.

Epiphanius
1971 *Account of the Holy City and the Holy Places.*

Kopp, C.
1962 *The Holy Places of the Gospels.* Translated by R. Walls 1963.

Willibald
1895 The Hodoeporicon of Saint Willibald. W.R. Brownlow, trans. *Palestine Pilgrims Text Society* III. New York: AMS, 1971.

Daniel
1895 Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land. C.W. Wilson. *Palestine Pilgrims Text Society* IV. New York: AMS, 1971.

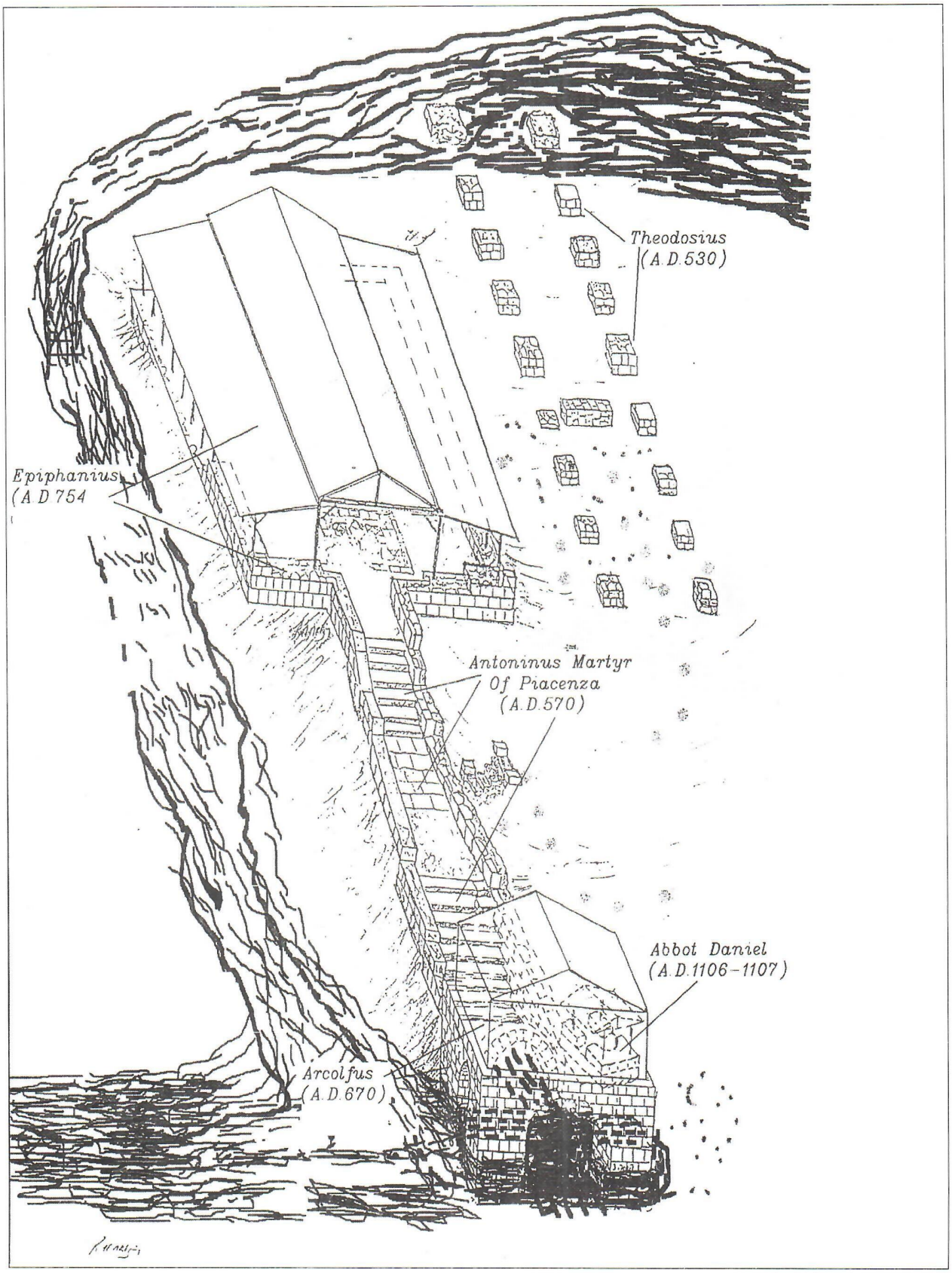

رسم يوضح الكنائس التذكارية الخمس.

الحرة الأردنية: مسح وتوثيق نقوش جديدة

رافع حراحشة

حرة راجل، تناوب عليها قيض تلو قيض حتى اسودت، ثم جاس خلالها سلف سادوا حيناً من الدهر باد منهم غير كثير، وانسل من بقي منهم بين أوديتها وشعابها لينقشوا على صفحات حجارتها منذ ألفين من السنين ويزيد ما كان من أمرهم وأمر من جاورهم او تقاسم معهم ما جادت به حرتهم.

قام فريق مشترك[1] بين دائرة الآثار العامة وجامعة برلين الحرة بإجراء مسح للنقوش والرسوم الصخرية في الحرة الأردنية ابتداء من الطرف الغربي لتل ذياب إلى الشرق من الجثوم بحوالي ٥ كم على يمين الطريق الحديث الذي يجري فتحه في المنطقة بموازاة الحدود الأردنية السورية ووثقت بعض الرجوم التي عثر فيها على نقوش صفائية ورسومات صخرية (**شكل ١، ٢، ٣**).

شمل المسح أيضا تل الراهب إلى الشمال من تل ذياب بحوالي ٥ كم كشف في قمته عن عدد من النقوش. كان يعلو القمة بناء دائري الشكل عرض جداره حوالي ٦٠ سم ردمت مداميكه العلوية إلى

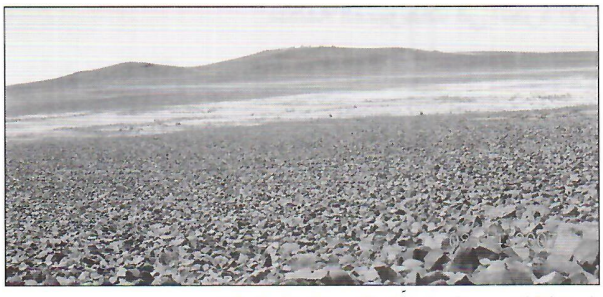

١. منطقة المسح ويظهر في آخر الصورة مخفر تل ذياب.

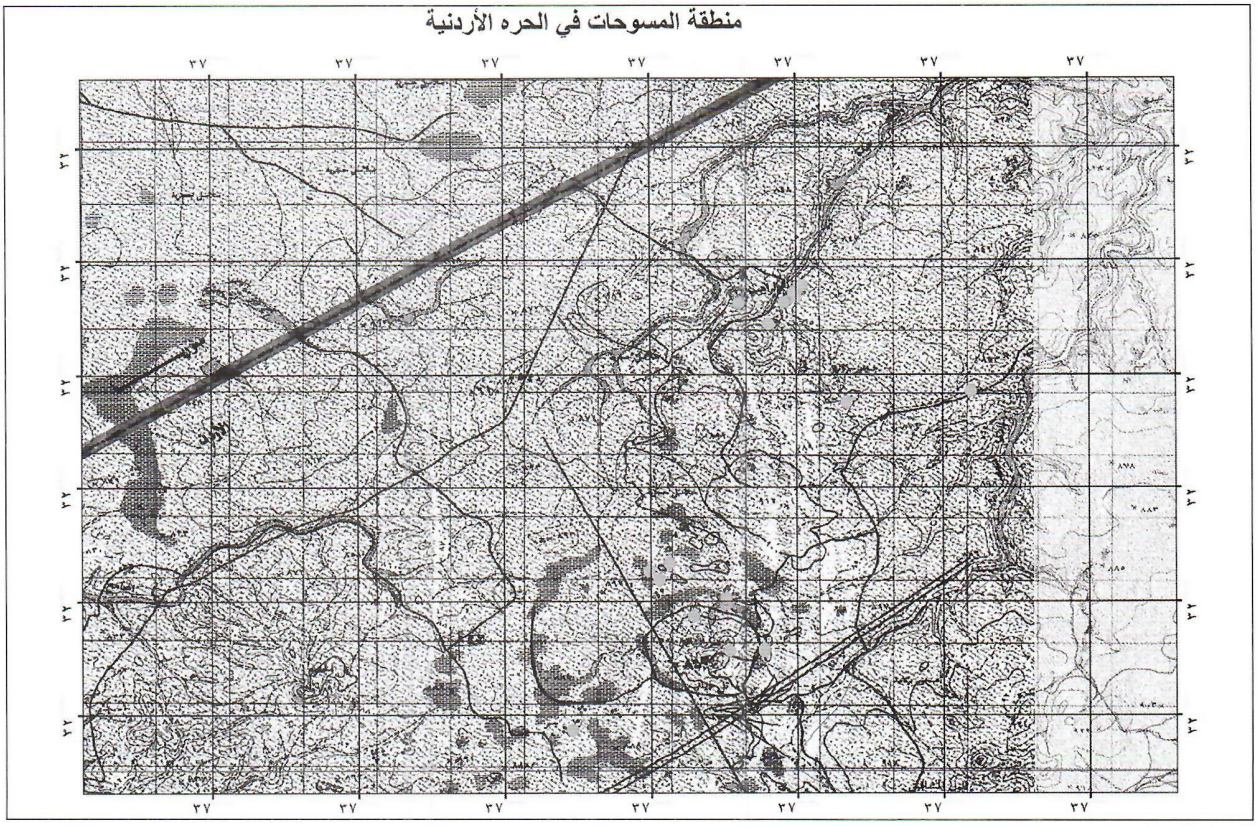

٢. خارطة مواقع المسح

١. يتشكل الفريق من الدكتور راينر فوغت والدكتور محمد عبابنة (جامعة برلين الحرة) والدكتور فواز الخريشة والدكتور رافع الحراحشة (دائرة الآثار العامة)

٣. نقوش ورسوم صخرية.

٤. وادي روضة عيدة.

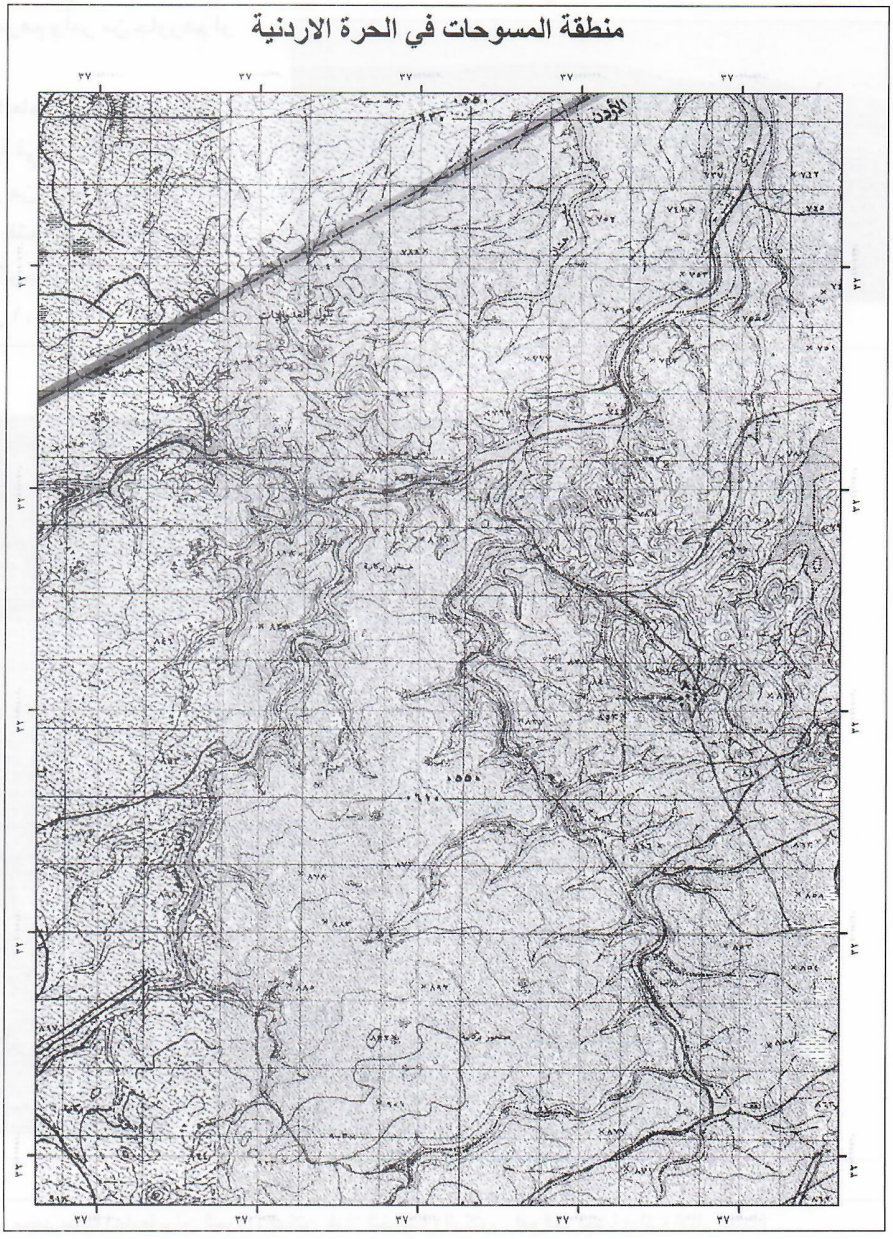

٥. مواقع المسح.

٦. نقوش صفائية.

الداخل وربما استخدم كمدفن من قبل البدو في فترات لاحقة.

إلى الجنوب من تل الراهب تنساب الافرع الغربية لوادي روضة عيدة حتى تلتقى فى مجرى واحد يتسع إلى اكثر من ١٠٠م عرضا، وهو وادي خصب ينمو فيه نبات الشيح والقيصوم، يتجه إلى الشمال الشرقي ثم شرقا حتى يلتقي بوادي المنمصر ثم إلى الشرق قليلا يلتقيا مع الوادي الأبيض ليشكلان معا وادي شرشوح عند الحدود الأردنية السورية وإلى الشرق من تلول العدوانيات بحوالي ٤ كم (**الشكل ٤، ٥**).

تنتشر على حافتي وادي روضة عيدة زرائب (صِيَر) استعملت للمواشي ورجوم عثر بالقرب منها على نقوش ذكرت فيها كلمة «زريبة» وهي لفظة ترد لأول مرة في النقوش الصفوية وتعني «صيرة» التي توضع فيها المواشي. يشار إلى مفردات تخص الرعي ورسومات لحيوانات وهو ما يدل على أن الوادي كان مكان رعي وإقامة موسمية للقبائل العربية القديمة (الصفائية).

إلى الغرب وعلى يسار الطريق الذي يقطع الوادي باتجاه تل الراهب يوجد ثلاث دوائر من الحجر ارتفاع جدرانها ٦٠ سم وقطر كل منها ٢ م تقريبا. احتوت احدى الدوائر على ثمانية نقوش، كان هناك عدد من النقوش لها المضمون نفسه وهو: «وذبح لجد ضيف» وهو ما يشير إلى أن الصيرة كانت تستخدم كمذبح قرابين لأفراد من قبيلة ضيف الصفائية.

إلى الشرق من تل ذياب وفي الطرف الغربي لتلول المشاقيق يبدأ وادي المنمصر وهو أيضا واد عريض متعرج بطول ٨ كم تنتشر على حافته الغربية زرائب حيوانات ورجوم كانت تحتوي على العديد من النقوش الصفائية (**الشكل ٦**).

قام الفريق في اليوم الأخير من العمل بزيارة ميدانية للوادي الأبيض إلى الشرق من وادي المنمصر بحوالي ٤ كم وهو وادي عميق ومتعرج في بعض أجزائه. انتشرت على حافتي الوادي، الشرقية والغربية، رجوم احتوت على نقوش صفائية وقد وثقت إحداثياتها لتوثق في الموسم القادم.

معظم النقوش التي جمعت تذكارية الطابع ترد فيها أفعال الدعاء والصيد والانتجاع وتقديم الذبائح وذكر الآلهة. إن كثرة الرجوم والزرائب والصير على حواف الاودية يدل على أن اختيار القبائل الصفائية لهذه المنطقة للاقامة فيها وللنجعة بسبب خصوبة المكان وتوفر المياه مثل الغدران.

رافع حراحشة
دائرة الآثار العامة